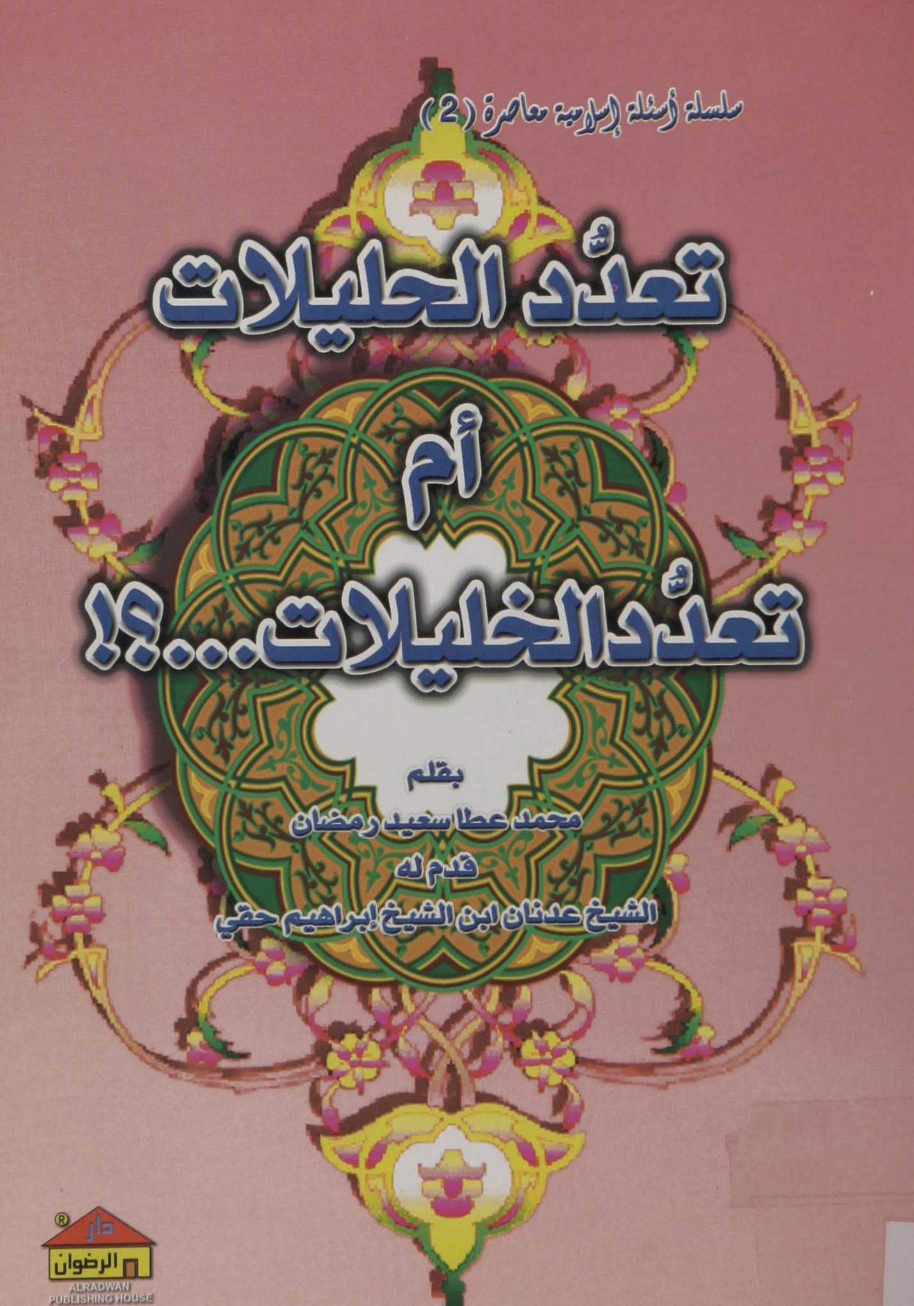


سلسلة أسئلة إسلامية معاصرة (2)

تعدُّد الحليلات أم تعدُّد الخليلات...؟!

بقلم

محمد عطا سعيد رمضان

قدم له

الشيخ عدنان ابن الشيخ إبراهيم حقي

دار الرضوان
ALRADWAN PUBLISHING HOUSE

سلسلة أسئلة إسلامية معاصرة (٢)



تعدد الحليلات
أم تعدد الخليلات... ؟!

سلسلة أسئلة إسلامية معاصرة (٢)

تعدُّد الحليلات

أم

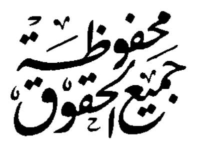
تعدُّد الخليلات

بقلم

محمد عطا سعيد رمضان

قدم له

الشيخ عدنان ابن الشيخ إبراهيم حقي





٢٠٠٤

طبع هذا الكتاب بموافقة وزارة الإعلام

في الجمهورية العربية السورية

رقم /٧٦٩٨٨/

دار الرضوان

حلب ــ مقابل صالة الأسد





بسم الله الرحمن الرحيم

أمر الإباحية وضع من أوضاع البهيمية ومظهر من مظاهرها ، فالبهائم تنزو على بعضها لا تأبه لشيء من الروادع ، ولا تتهيَّب الاعتباراتِ الاجتماعية وغير الاجتماعية .

فالأنثى تتعرض للذكر وتستكين له عندما تنشط غريزتها ، والذكر حينئذٍ يكون في مثل وضعها فينشطان ومن ثم يلتقيان ، والعنصر الحيواني لدى الإنسان ما أدنى شَبَهَهُ بالحيوان عندما ينعتق من روادع الإيمان وزواجر الأخلاق فيغدو حيواناً ينقاد للغريزة .

وآية ذلك أن الله تعالى قد أودع الإنسانَ قابليتين : مَلَكِية ، وأخرى حيوانية ، فمن ضبطته مَلَكِيته فهو أفضل من الملائكة ، ومن أسرته حيوانيته فهو أخسُّ من البهائم .

لا جرم أن الإنسان عندما يغلب غريزته الحيوانية ويُخْضِعُها لضوابط الإيمان والأخلاق ، لا يتم له ذلك إلا بعد معاناةٍ ومقاومة شديدة لدوافعها كمن ينازل عدواً شرساً ، لذلك ينال هذه الأفضلية ، بينما الملائكة مغمورون في أطياف ملائكيتهم وهالاتها ، لا تتراءى لهم المغريات ، ولا يَسْفَعُهُمْ أُوارُ نارِها ، فليس لهم فضل على عدم اقترافهم الموبقاتِ لهذا الاختلاف .

وإننا في زماننا هذا نشاهد هيمنةً من هذا المستوى قد باتت ديْدَنَ فئة من الناس الذين يقلدون الأمم الغربية ويحاكونهم بقناعة ، بحيث آض الزنى في مجتمعاتهم اعتباراً لا قيمة له ولا معنى ، فالفتاة تباشر متعتها الجنسية ومقابلاتها عندما تشاء ومع من تشاء ، ولا يُنْظر إليها أنها أتت أمراً إدّاً ، ولا هي تراه كذلك ، منذ بدايات بلوغها .

والأفظع من هذا أن الأُسَرَ قد تفككت فلم يَعُدِ الأب مسؤولاً عن أولاده بعد بلوغهم، وعلى الأولاد أن يَسْعَوْا على معايشهم بأنفسهم، وهنا في أغلب الأحوال يكون رأس مال الفتاة (نفسَها) فتقدّم أنوثتها للراغبين في المتعة لتحصّل المال الذي سوف تنفقه في ضروراتها المعاشية ، وهنا لا تسلْ عن المآسي والمخازي التي تحدث في هذا السبيل ، فمنها ضياع الأنساب وعدم معرفة الأولاد آباءَهم ، ومنها الزنى بالمحارم والعياذ بالله ، فقد يأتي العاهر أخته أو ابنته أو أمه.. إلخ (وما أدراه بهن) فقد تسبب في وجود هؤلاء في لحظة عابرة وبرزْنَ للوجود ولادةً من هذه الأوقات المختلَسة وهن نكِرات ، علماً أن مثل هذه الأحوال ممنوعة في غير هذه المجتمعات مهما تدنت أخلاقها وفسدت قوانينها من أقدم العصور إلى الآن ، فضلاً عن كثرة اللقطاء ، ومِن طبقتهم ينشأ المجرمون الذين يعبثون بأمن المجتمعات من جماعات المافيا ومن على شاكلتهم ، وهنا تَصوّرْ حياةَ التعاسة والحرمان والقلق لهؤلاء الناس الذين نشؤوا في أجواء التشرد في الأزقّة والشوارع والملاجئ ، والسبب في ذلك : الحرمان من الجو الأسروي الذي يظله الحنان ؛ إذ يجتمع شمل الأسرة في حب متبادل

وتعاون مشترك من الوالد والوالدة والأولاد.. إلخ فيغدو المجتمع بذلك خلايا منتظمةً متعاونة ، يقوم كلٌّ بواجبه تجاه نفسه وأسرته ومجتمعه .

أما الذين نشؤوا النشأةَ الغربية وتمتعوا بمظاهر المدنية الغربية من الرخاء وكثير من أوجه الرفاه والراحة الجسدية ، من الطمأنينة والهدوء النفسي فلا تكاد تجد آثار التعاطف والحنان بين الأهل ، فالابن منصرف عن أبيه وكذلك الفتاة عن بيتها ، هَمُّ كلٍّ منهم تدبير أسباب معيشته بالأسلوب المتاح ، فبوصول الأولاد سنَّ البلوغ ذكوراً وإناثاً ينفصلون عن آبائهم وأسرهم ، وقد يستأجر الشاب غرفة من بيت أبيه ، ومثله أخته ، وقد تمر آماد طويلة لا يعرف الآباء عن أحوال أولادهم ولو طرفاً يسيراً من خبر ، والأولاد أيضاً لا يعرفون شيئاً من هذا الأمر .

من ذلك ما قرأت في مجلة العربي الكويتية أن عجوزاً كانت تقيم وحدها في منزلها ولها أولاد يسكنون هم أيضاً وحدهم ، وكانت والدتهم تُعْنَى ببعض القطط تعبيراً عن عاطفة الأمومة التي فقدتْها لهجر الأولاد ، وكان البقّال يأتيها كل يوم بقارورتين من الحليب يضعهما أمام باب المنزل فعندما تفتح ربَّة البيت الباب تأخذ القارورتين لطعامها وطعام قططها ، فجاء كعادته صباح يوم فوجد قارورتي البارحة في مكانهما لم تبرحاه ، فلم يأبه لذلك ووضع بجنبهما قارورتين أخريَيْن ، ثم عاد في الغد لأخذ القوارير الفارغة فوجد القوارير الأربعة في أماكنها ، فأوجس خيفة في نفسه خشية أن

يكون قد حدث مكروهٌ مّا فيُتَّهمَ بها لأنه يتردد عليها للوازمها ، فترك القوارير على ما هي عليه وأسرع إلى الشرطة يخبرهم بما جرى ، فجاؤوا وقرعوا الباب ، فلم يُفْتَح ولم يُسمَعْ من خلفه نأمة، فعالجوه إلى أن فُتِح ودخلوا الدار ، فإذا العجوز متمددة ، وقد ماتت ومن حولها القطط تموء ، وقد أكلوا مارن أنفها وحوافَّ أذنيها وأطرافَ كفّيها وأناملَها ، فبحثوا في الغرفة عن بطاقتها أو وثيقة يعرفون بها اسمها فوجدوا بطاقتها ، ونشروا اسمها في الصحف وعنوان دارها ، فجاءتهم غداة غدٍ فتاة وقالت : إن المتوفاة والدتها ، فسلموها جثتها وسألوها : أمَا كنتِ ترددين على والدتك ؟ قالت : لا ، فمنذ أشهر لم أرها فقد كان يحول دون ذلك مشاكل الحياة وتدبير المعيشة ، وبيتي في نفس هذا الشارع وبيني وبينها بضعة كيلو مترات ، هذا نموذج من حياة الناس هناك .

قال لي أحد شبابنا وكان يدرس في لندن : استأجرت غرفة لدى أسرة وكانت لها ابنة هي أيضاً مستأجرة ، تعيش معهم وتدفع أجورها وتتردد على عملها الذي تُنفق من وارده على معيشتها ، قال الشاب : عدتُ إلى البيت ذات مساء وإذ بالفتاة وأبيها يتشاجران ، وقد علا صراخ الأب ، وهي تبكي بدموع غزار تقول لأبيها : لا أكاد أجد أكثر مما كنتُ أدفعه لك ، والوالد يرفض ويقول لها : عليك أن تدفعي مثلما يدفع الآخرون ، وقد أصر على ذلك ، ثم دخلتُ غرفتي وانشغلت بشأني عنهما .

❊ ❊ ❊ ❊

هذه بعض سمات المعيشة التي يتعامل المجتمع الغربي بها في أحسن أحواله ، فلا بد أن مثل هذه الفتاة كثيرات يتسكّعن في الشوارع ليصطدْنَ من يرافقُهم لقضاء المآرب معاً أو في مقارٍّ أعمالهم ومكاتب وظائفهم ؛ لأن الرجال لا يتحملون تبعات الأسرة ونفقاتها أو الانشغال بها ، ويفضلون العلاقات العابرة مع العاهرات المنتشرات في كل مكان .

والزوج قد يختلف مع زوجته فيهجرها ويأوي إلى بنات الهوى إلى أن يصطلحا ، (ولو كانت المناسبة تتحمل أكثر لأتيت على ذكر ملاجئ الزوجات المطلقات والمطرودات) ، ومع كل هذا (خلال حياتهم العادية) قد يحظى الزوج بحسناء تأخذ لبّه فينال منها بمعزل عن زوجته ، ومثله زوجته تتصيد الفرص ولا تكتفي بالعلاقة الزوجية وحدها ، وقد يتبادلون الزوجات ، فيصحب الرجل زوجة صاحبه إلى داره ، ويبقيان معاً المدة المتفق عليها ، ومع كل هذه الأحوال هم في الظاهر مكتفون بزوجة واحدة ، لكنهم معدِّدون بما لا حصر له كما حصل في المدة الأخيرة للرئيس الأمريكي (بل كلينتون) مع الحسناء اليهودية (مونيكا لوينسكي) وكما حدث منذ نحو عشرين سنة مع أحد وزراء بريطانيا المدعو (بروفيومو) مع بائعة هوى حسناء خلبت لبه ، وكما حدث للأميرة (ديانا سبنسر زوجة ولي العهد البريطاني مع عشيقها المليونير المصري عماد الفايد) وماتت معه في حادث سيارة .

هذه أحوال عادية عند القوم أُوردها نماذجَ للقراء الذين قد لا يعلمون هذه الحقائق ، ثم لا تسل عن ملايين المصابين بالأمراض التناسلية لاسيما الإيدز ، ذلك الوباء المدمِّر ، ناهيك عن هواة اللواطة الذين يتزوجون الذكران مثل النسوان[1]، عدا ملايين النساء غير المتزوجات ، والملايين الذين يخونون زوجاتِهم ، واللواتي يَخُنَّ أزواجهن ، والعدد الهائل من الأرامل .

ولا تسل عن الفاحشة الكبرى والعياذ بالله : نكاحِ المحارم ، ومن لا آباء لهم ، كل هذا وغيره بسبب هذه الفوضى الجنسية وتفكك الأسرة وعدم الرباط العائلي .

مضافاً إلى كل هذا تزايد أعداد النساء عن الرجال كما في فنلندا وألمانيا وشمال أوربا ، وحال اللواتي لفظتْهُنَّ الأسرة أو نشأْنَ بلا أب ، ترعاهن أم تتاجر بعرضها بأبخس الأثمان ، وهي تعمل في مطعم أو فندق أو معمل لتأمين ما يضمن أسباب معيشتها .

هذه أحوال قائمة وهي مظهر المجتمع هناك .

لكن هذه الحال خلال هذه المدد الطويلة حركت ضمائر بعض الواعين من أصحاب الشعور النبيل فتألموا لهذه المأساة الإنسانية وتكلموا عنها وأثاروها واعترضوا عليها وطالبوا أقوامهم بالرجوع عنها.

---

(١) النِّسْوان: جمع امرأة من غير لفظها (مختار الصحاح) .

من أمثال العالم (كوستاف لوبون) عندما صرّح أثناء مؤتمر عقد في (بون) لمكافحة الإجرام والأمراض الجنسية ، فقال قولته التي دوَّت في الآفاق يومئذ : (إن تعدد الزوجات لدى الشرقيِّين أفضل من تعدد الزوجات السرِّي عند الأوربيين) .

وهذا ما يجعل النساء ينتسبنَ إلى أزواجهن والأولادَ إلى آبائهم فترتفع عن النساء وصمة العهر... إلخ ، وعن الأولاد اسم أولاد الزنى والأولاد غير الشرعيين ، من أجل هذه المشاكل قال العقلاء بوجوب تعدد الزوجات ، وقد وجه الفيلسوف (روجيه كارودي) الفرنسي نداءً إلى الشرقيين قال فيه : (أوربا مريضة وأنتم أصحاء ، ومن الخطأ أن يقلّد الصحيح المريض) ويقصد واقع الغرب .

هذه الأحوال والأوضاع كلُّها أيها الإخوة أدلة صارخة على انحراف الغرب عن الطريق السوي وأنهم يسيرون على نهج الفوضى والاختلال ، فينبغي أن نقف دونها متمسكين بتعاليم شرعنا الذي هو مصدر السعادة والسيادة ، وهو معنى قول (كوستاف لوبون وروجيه كارودي) .

زارني ١٠/١٢/٢٠٠٣ شاب بريطاني اسمه (موركان) ، يقيم في دمشق منذ سنتين لتعلم اللغة العربية وتأليف كتاب عن الإسلام وبعض مواضيعه ، سألني عن أمور كثيرة وهي لديه مشاكل ، وسألته عمن عرف من مشايخ الشام ، فذكر أسماء بعضهم بخير .

قلت له : بعد أن أقمتَ بين المسلمين هذه المدة ماذا فهمت منه وكيف رأيته ، فأجابني جواباً حاسماً **(الإسلام دين عظيم وهو دين**

العقل). قلت : أما والأمر كذلك فلِمَ لا تسلم يا مستر موركان ، فأغمض عينيه لحظات ثم فتحهما وهو يهز رأسه هوناً ، وقال : لا أقدر ، فديني أيضاً عظيم ، قلت : يا مستر موركان ؛ ما لنسائكم معاشرَ الغربيين لا يَرْدُدْنَ يدَ لامسٍ ويستسلمن لمن يريد أن يتمتع بهن ، وقد تبذل هي نفسها للرجل دون سعي منه ؟

فتبسم ضاحكاً وقال : صحيح ، ذلك وضع أِلْفناه وصار عادة . وهكذا :

مَنْ يَهُنْ يَسْهُلِ الهوانُ عليه   ما لِجُرحٍ بميِّتٍ إيلامُ

يا لَلْعجب من هؤلاء الناس إذ يصفون الإسلام بأنه دين شهواني ويَعْمَوْن عن أعرافهم وأذواقهم ، يَرْضَوْن للرجل بعشرات الخليلات ولا يَرْضَوْن بأكثر من زوجة ، بينما الإسلام يمنع الخليلات ويبيح أربع حليلات فقط ، ومع ذلك فالإسلام دين شهواني وهم معتدلون ، لَعَمري إن هذا هو عمى البصيرة الذي عناه الله بقوله تعالى :﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴾[1].

هذا . وقد أحسن الاختيار ولدُنا الحبيب العاقل اللبيب سيد **محمد عطا بن سيد سعيد** وأجاد في التحليل وحشد للرد الأدلة القوية التي لا يقوى على ردها عالم منصف ، ولقد قرأت الموضوع كلّه فألفيته قد جمع فأوعى ، ولم يدع مزيداً لمستزيد وإن يكن قد أنجز

---

(١) سورة الحج، الآية: (٤٦) .

هذا الموضوع بهذا العرض الجيد ، فلعمـري إن كـل مواضـيعه الـتي جاء بها من قبلُ مـن هـذا القبيـل ، فأسـأل الله تعـالى لـه المزيـد مـن التوفيق وأن يثيبه خير ما يثيب به مستحقاً لثواب . آمين

القامشلي في :

٤ ذي الحجة ١٤٢٤هـ

الموافق لـ ٢٦ كانون الثاني ٢٠٠٤

كتبه الشيخ عدنان

ابن الشيخ إبراهيم حقي

* * * *

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحابته أجمعين ، وعلى دعاة الحق وقادة الخير بإحسان إلى يوم الدين . **وبعد** :

فإن موضوع تعدد الزوجات من الموضوعات التي يجد فيها أعداء الإسلام وخصومه بغيتَهم من الطعن فيه والحطِّ من قيمة أحكامه والتشكيك في صلاح نظامه الذي ملأ الأرضَ عدلُه ووسع الإنسانية فضله ، عن قصد أو عن سوء فهم ، وكأن الإسلام هو أول من أباح **(تعدد الزوجات)** على الرَّغم من أن تشريع التعدّد من مفاخر الإسلام ، فقد استطاع الأعداء الذين أعمى الحقد الدفين أبصارهم عن الحق وأزاغ قلوبهم عن الحقيقة أن يصوِّروه مثلبة[1] ليشككوا شباب المسلمين بدينهم ويشوهوا لهم نظام إسلامهم فلا يجدوا أمامهم إلا مناهج هؤلاء الطاعنين وأنظمتَهم لينصرفوا إليها. ونحن سنبذل ـ بعون الله جهدنا ـ في دحض افتراءاتهم ودفع هذه الشبهات

---

(١) المثلبة: العيب (ج) مثالب .

الباطلة والشكوك المغرضة لينقشع ركام سحاب الأباطيل وينقمع طَغام[1] الناس من أهل الزيغ والتضليل ، ويقتنع شباب مؤمنون لهم قلوب واعية وعقول سليمة فيحيا من حيَّ عن بينةٍ ، ويهلِك من هلك عن بينة ، ولا يهمنا بعد ذلك طعن الأعداء ولا جهل الأصدقاء ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾[2].

وهذا الكتاب ـ عزيزي القارئ ـ يدفع شغَب الأعداء بالعلم والحجة المقنعة ويزيل الغشاوة عن العيون ويوضح الحقيقة بأجلى معانيها ويرد على الجهل بالعلم وعلى الباطل بالحق وعلى الضلال بالهدى ويحدّثك عن فكرة التعدد حديثاً مفصلاً ، فيقفك على فائدته وأحكامه وثناء المفكرين علية وضرورته للبشرية ويحدّثك هذا الكتاب أيضاً عن هذا الأمر في حياة الرسول ﷺ ، فلطالما تساءل الناس بعد تحريكٍ من أعداء الإسلام : لماذا تزوج الرسول عليه الصلاة والسلام إحدى عشرة امرأة ؟

إن هذا الكتاب يوضح لك الحكمة من ذلك واضحة مفصلة ويريك أن نبيّ الإسلام كان عظيماً في كل شؤونه ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ ، كذلك يردُّ على عدة شبهات يثيرها أعداء الإسلام عن جهل أو سوء قصد.

---

(١) قمعه وأقمعه: قهره وأذله . الطَّغام: (بفتح الطاء) أراذل الناس وأوغادهم ، والواحد والجمع فيه سواء .

(٢) سورة القصص، الآية: (٥٦) .

وحسبي أني بذلت جهداً في ذلك ، والمجتهِد مأجور على لسان النبي المعصوم ﷺ .

واللهَ أسأل أن يجعل فيه النفع العام والفائدة المرجوة ، وأن يجعل تَطوافنا دائماً حول كعبة الحقيقة الواحدة ، وأن يهيِّئنا دائماً لنكون خُدّاماً لشرعه وجنوداً لدينه ، وأن يجعلنا من أولئك الذين قال فيهم : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسۡمَعُونَ حَسِيسَهَاۖ وَهُمۡ فِي مَا ٱشۡتَهَتۡ أَنفُسُهُمۡ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحۡزُنُهُمُ ٱلۡفَزَعُ ٱلۡأَكۡبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوۡمُكُمُ ٱلَّذِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴾[1] إنه بالإجابة جدير ، وهو أكرم مسؤول.

محمد عطا سعيد رمضان

* * * *

(١) سورة الأنبياء، الآية: (١٠١) .

تشريع التعدُّد

شرع الله الزواج لحكم سامية وغايات نبيلة وفوائد جليلة ، وأمر بتيسير أسبابه ؛ لأنه هو الطريق السليم للتناسل وعمران الأرض بالذرية الصالحة .

ولم يشأ الله تبارك وتعالى أن يُترك الإنسان كغيره من المخلوقات ، فيدعَ غرائز تنطلق دون نظام ويترك الاتصال بين الذكر والأنثى فوضى لا ضابط لها كما هو الحال عند الحيوان ، بل وضع النظام الملائم الذي يحفظ للإنسان كرامته ويصون له شرفه ، فجعل اتصال الرجل بالمرأة اتصالاً نظيفاً طاهراً قائماً على أساس التراضي والتفاهم .

وبهذا وضع للغريزة طريقها المأمون وحمى النسل من الضياع وصان المرأة من أن تكون دُميةً بين أيدي العابثين أو كَلأً مباحاً لكل راتع.

والغريزة الجنسية من أقوى الغرائز وأعنفها ، فما لم يكن لها متنفَّس عن طريق نظيف وشريف تمردت وطغت ونزعت بالإنسان إلى شرٍّ مستطير .

والزواج هو أحسن وضع طبيعي لها وأسلم طريقةٍ لإرواء الغريزة وإشباعها ليهدأ البدن من الاضطراب ، وتسكن النفس عن الصراع والهيَجان ويكفَّ النظر عن التطلع إلى الحرام وتطمئن العاطفة إلى ما أحل الله لها ، وهذا ما أشارت إليه الآية الكريمة : ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ

خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[1] .

والزواج أحسن وسيلة لإنجاب الأولاد وتكثير النسل واستمرار الحياة؛ مع المحافظة على الأنساب التي يوليها الإسلام عناية فائقة.

وقد حض الإسلام عليه ورغّب فيه بطرق شتى وصور عديدة وعدّه الرسول ﷺ خيرَ متاع في هذه الحياة فقال صلوات الله عليه : « الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَخَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ »[2].

بل عدّه خيْرَ كنزٍ يكنزه الإنسان في حياته فقال عليه الصلاة السلام : « ألا أخبركم بخير ما يكنز المرء ؟ المرأة الصالحة ، إن نظر إليها سرته ، وإن أمرها أطاعته ، وإن غاب عنها حفظته في نفسها وماله»[3].

وقد أمر الإسلام بتيسير أسباب الزواج وتسهيل طرقه ، لتجريَ الحياة على طبيعتها وبساطتها ، وأمر بإزالة جميع العقبات من وجهه ، والعقبة المالية هي (العقبة الأولى) في طريق بناء البيوت ، وتحصين النفوس ، لذلك نبه الباري جل وعلا إلى أنه لا يجوز أن يكون الفقر عائقاً عن التزويج ، فالرزق بيد الله ، وقد تكفّل بإغنائهم إن هم اختاروا طريق العفة النظيف .

---

(١) الروم، الآية: (٢١) .

(٢) رواه مسلم وأحمد والنسائي وابن ماجه وغيرهم عن ابن عمرو مرفوعاً .

(٣) رواه أبو داود والنسائي .

فيجب على الأُمة أن تعينهم على الزواج ، وأن تهيّئ لهم أسبابه ، وتبذل كل ما لديها من جهود حتى لا يبقى في المجتمع عضو أشلّ أو عضو غير نافع .

وإلى أن تتهيأ للشباب فرصة الزواج جاء الأمر الإلهي لهم بالاستعفاف عن الحرام حتى يغنيَهم الله من فضله : ﴿ وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾[١] .

ومن الكذب والزُّور ما يقوله بعض أدعياء العلم اليوم من أن **(الكَبْت والحرمان)**[٢] يولِّدان عند الإنسان عُقَداً نفسية وأضراراً

---

(١) سورة النور، الآية: (٣٣) .

(٢) هذا كلام صحيح ـ ولكن أريد به باطل ـ، الغريزة إذا كبتت تؤدي بالإنسان إلى عقد نفسية لأن الغريزة طاقة جسدية لا بد أن تجد لها طريقاً إما إلى حلال وإما إلى حرام، ولذلك فإن الإسلام شرع لها طريقاً ومتنفَّساً بالزواج المشروع، لا بالبغاء وتعدد الخليلات كما يقول الإباحي (فرويد) .
وقد أعلن الطب رفضه لهذا الافتراء ، وكذَّب هذه الفرية منذ ظهورها ، وأثبت أكابر أطباء العالم عكسَ ذلك تماماً ، وقالوا إن المسألة مسألة إرادة ، وإذا سُلطت الإرادة الإنسانية ووُجهت نحو شهوات أخرى مباحة ، أو هوايات من الحلال انصرفت عن تلك الشهوة الجنسية .
ومن المعروف أن (فرويد) ـ رأس المزاعم النفسية الحديثة التي تستند إلى ما سماه العقل الباطن، والتي تجعل (الغريزة الجنسية) محور الشخصية الإنسانية ـ يهودي، بل كان معروفاً بتعصّبه المفرط لليهود، فلم يكن يختار مساعديه وأعوانه إلا منهم .
(راجع المذاهب الهدّامة أفيون الشعوب) للعقاد رحمه الله .

جسمية ، وأن عليه أن يخفف طغيان الغريزة بالاتصال الجنسي ولو عن طريق البِغاء .

إنهم يجعلون الزنى (ضرورة اجتماعية) لاتقاء الأمراض الجسدية والتخلص من أضرار (الكبت والحرمان) . ويزعمون أن هذا هو الطريق السليم لمعالجة طغيان الغريزة وحماية الإنسان من العقد النفسية التي قد تؤدي به إلى الجنون .

والمتحللون وعلى رأسهم الإباحي (فرويد)[1] يرون أن خير علاج هو إباحة الزنى وأن فيه حماية للفرد والمجتمع من مخاطر الجنس ، وهم يستقون نظرياتهم (التربوية) فيما يزعمون من علم النفس ، ويقولون : يجب أن يعيش الإنسان حراً مطلقاً من كل قيد وشرط ، حتى لا يتعقد ، ولا تنتابه الهواجس والأمراض النفسية . إنهم يقيسون الإنسان على الحيوان الذي يعيش طليقاً بدون قيود ولا حدود يأتي شهوته متى شاء وينال غريزته بأيّ طريق أحب ، وما دروا أن بين الإنسان والحيوان فرقاً كبيراً وبوناً شاسعاً ، فالحيوان تسيطر عليه شهوته وتتحكّم فيه غريزته ، بينما الإنسان يتحكم فيه عقله ويضبطه إدراكه وإحساسه ولولا العقلُ في الإنسان لكان الحيوان خيراً منه وأفضل .

---

(١) اسمه سيكموند فرويد ولد ١٨٦٥م توفي ١٩٣٩م طبيب نمساوي مؤسس علم التحليل النفساني . درس أهمية الدوافع والعواطف اللاشعورية والعوامل الجنسية لاسيما في طور الطفولة أهم كتبه (تفسير الأحلام ـ قلقل في الحضارة ـ ثلاثة أبحاث في الجنس) .

فإياكنَّ أيتها المسلمات أن تسمعنَ إلى دعاة الإباحية الذين يدّعون أن السفور والاختلاط تصعيد للغريزة ، وتصريف نظيف للغريزة ، وكوامن الشهوة ، بل يجعل اجتماع النساء بالرجال والشاب بالشابات أمراً مألوفاً وعادياً !! إن هذا الادعاء الذي يروجه هؤلاء ، تكذّبه الفطرة والتجربة ، ويكذّبه الواقع .

ولا جرم أن هناك خطةً صهيونية لهدم الأسرة أجمَعَ ، وُضِّحت أسسُها في (بروتوكولات حكماء صهيون)[١] .

وذلك يكون بوضع المرأة في غير مكانها المناسب لها مع كرامة واحترام ، ووضعها في مكان غير مناسب وطبيعي يسبب إرهاقاً وكدراً وتعطيلاً لجهود رجال ، إن عملوا عاشوا وعاش معهم نصف المجتمع .

يقول كبير من كبراء الماسونية الفجرة : (يجب علينا أن نكسِب المرأة ، فأيّ يوم مدتْ إلينا يدها فزنّى بالحرام وتبدد جيش المنتصرين للدين) .

وجاء في برتوكولاتهم (...إن فرويد منا ، وسيظل يعرض العلاقات الجنسية في ضوء الشمس لكي لا يبقى في نظر الشاب شيء مقدس ويصبح همه الأكبر هو إرواء غرائزه الجنسية ، عندئذ تنهار أخلاقه) .

---

(١) راجع كتاب الخطر اليهودي (بروتوكولات حكماء صهيون) ترجمة خليفة التونسي . البروتوكولات رقم: ١ ، ٢، ، ٤، ٥، ، ٨، ٩ .

إن الأمة الإسلامية حينما تُبتلى بهذه الآفات الجنسية والمفاسد الخلقية ، وتعمل معاول الهدم والتآمر والمخططات ، فإنها ستكون مطمَعاً لكل مغير ، وهدفاً لكل مستعمر ، وغاية لكل عدوٍّ وملحد ، وإباحي فاجر ، بل تفقد كل مقوِّمات وجودها ، وأسباب بقائها واستمرارها ، ومن ثم تكون قد حكمت على نفسها بالموت وعلى من يأتي بعدها بالفناء المحقق .

وهذا ما يسعى إليه الاستعمار والصهيونية والماسوينة والمذاهب المادية الإلحادية التي تهدف ـ قبل كل شيء ـ إلى إفساد الأسرة المسلمة وانفصام عراها ، هذا لا يأتي إلا بتمزيق القيم الأخلاقية ، وإطلاق عنان الغرائز والشهوات وإشاعة الانحلال والميوعة في المجتمع ، فالمرأة ـ عند هؤلاء ـ هي أول الأهداف في هذه الدعوة الإباحية ، والميدان الماكر .

فهي العنصر الضعيف العاطفي وذو الفعالية الكبير ة ، والتأثير المباشر في هذا المجال وجاء في برتوكولاتهم (كأس وغانية تعملان في تحطيم الأمة المحمدية أكثر مما يفعله ألف مدفع ، فأغرقوهم في حب المادة والشهوات) ، (ينبغي أن نعمل لتنهار الأخلاق في كل مكان فتسهل سيطرتنا) هكذا يفكر هؤلاء الفجرة (عبيد الشهوة) في التخطيط للقضاء على شبابنا عماد المستقبل .

ولقد أحسن من قال :

إيه عصر العشرين ظنوك عصراً نيّرَ الوجه مسعد الإنسانِ
لست (نوراً) بل نار وظلم مذ جعلت الإنسان كالحيوانِ

قارئي العزيز :

إن الله سبحانه حكيم ، تشريعاته سبحانه وتعالى غنية بالحِكَم زاخرة بالفوائد للعباد ، جامعة للمنافع ، مانعة للمضار ، وقد يدرك الناس حكمة ربهم سبحانه في بعض التشريعات وقد تخفى عليهم في بعض آخر ، فالمؤمنون يؤمنون بها والكافرون ينكرونها ويتخذون من خفاء بعض الحكم ذريعةً للنيل من التشريعات الإلهية ويشنون عليها هجوماً عنيفاً يرمون من ورائه إلى زلزلة العقيدة الإسلامية في المؤمنين ، وقد فعلوا هذا كثيراً وما زالوا يفعلون ، ومن المحزن أنه سمع لهم فريق من أبناء المسلمين لضعف بنائهم العلمي ، فقاموا ينعقون بآرائهم ويحبذونها طاعنين في شرع الله المتين : ﴿وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾[1] من طعنَ أحكام الله واستهجنها فأين هو من الإيمان وأين الإيمان منه ؟ والذي يتوجب على حملة الشريعة وفقهاء الملة أن يذودوا عن حياض الدِّين بعلم وعرفان جهدَ طاقتهم ، تثبيتاً للضعفاء ، وتنويراً للعقول ، ودعوة للشاردين عن باب الله تعالى إلى الأوبة إليه والرجوع إلى حظيرة الإيمان و : ﴿إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ﴾[2].

* * * *

---

(١) سورة البقرة ، الآية : (١٠٨)

(٢) سورة آل عمران ، الآية : (٧٣) .

أدلة التعدُّد والحكمة منه

تعدد الزوجات في الإسلام أثار علينا المخالفون من أجله عجاجات وأعاصير من الانتقادات ، وجاؤوا بزوابع من الاعتراضات وطعنوا بسببه في ديننا مطاعن مُرَّة ، فلنكن يقظين متسلحين بالمعرفة لصد هجوم الباغين .

بعث الله نبيه سيدنا محمداً عليه وعلى آله الصلاة والسلام بتحريم الفواحش كلها ، فلا زنى، ولا لواط، ولا سحاق بين النساء، ولا إتيان للبهائم، ولا شيء من الأنكحة الفاسدة التي كانت قبل البعثة ، إن هو إلا الوطء الحلال للزوجة أو الأمة المملوكة ملكاً صحيحاً شرعياً . وفي إباحة الإسلام للرجل أن يتزوج أربع زوجات ليس بينهن قرابة شرعية محرمة ، وحرم عليه زواج الخامسة حتى يطلِّق إحدى زوجاته وتمضي عدتها سواء أكانت العدة من طلاق بائن أو رجعي ، وقد ورد ذلك في القران الكريم والسنة والإجماع :

أ ـ القران الكريم قوله تعالى: ﴿ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تَعۡدِلُواْ فَوَٰحِدَةً ﴾[1] ؛ أي أحل الله لكم ذلك لأن طاب معناها هنا (حَلّ) .

---

(١) سورة النساء، الآية: (٣) .

ب ـ السنة النبوية : وقد وردت عدة أحاديث تمنع الرجل الزواج بما زاد عن أربع زوجات، فمن ذلك أن غيلان الثقفي أسلم وله عَشْر نسوة أسلمن معه ، فقال الرسول ﷺ: « أمسك أربعاً وفارق سائرَهنّ » .

ج ـ الإجماع : وقد انعقد إجماع الأمة على ذلك دون خلاف منذ نزول القرآن حتى عصرنا الحاضر ، وبهذا فقد أباحت الشريعة الإسلامية تعدُّد الزوجات .

وتبدو لنا حكمة ذلك إذا عرفنا أن هذه الشريعة جاءت عامة شاملة لكل الأمم ولمختلف العصور فكان لا بد لتشريعٍ هذه صفاته من أن يوجد الحلول لكل أمر واقع أو متوقّع ولو كانت نسبة وقوعه واحداً من ألف لكل جيل من الناس أو لقوم دون قوم لفترة من الزمان.

والزواج كما شرعه الله فيه سكن للنفس، وراحةٌ للضمير والقلب واستقرار للحياة والوجدان ، وفي حصر قضاء الوطر في هاتين إبقاء على الصحة الجسدية والشرف والكرامة وصيانة للأمة أفراداً وجماعات عن رجس يؤدي بها إلى الانهيار ثم الانقراض . ونحن نعلم أنه كان للرجل الحق في أن يتزوج من النساء ما يشاء من غير تقييد بعدد مخصوص ولا مراعاة للعدل بين الزوجات ، فأصلح الإسلام هذا الأمر فجعل الحد الأقصى منه أربعاً ولكنه لم يوجبه علماً بأن كثيراً من الأزواج لا يتم لهم السكون الزوجي والهناء العائلي إلا في حال توحيد الزوجة .

إذن الإسلام لم يمنع الأمر ولم يوجبه لما في المنع والإيجاب من الحرج الذي يعمل الدين ـ بمجمله وتفصيله ـ على نفيه وأبقاه في دائرة الإباحة ولكن قيّده بواجب العدل بين الزوجات ، فمن أنس من نفسه الكفاءة والقدرة عليه فليتقدم وإلا فالوقوف مع زوجة واحدة أسلم وأحكم .

ومن الجدير بالذكر أن تعدد الزوجات محظور على غير العادل بل حتى خوف مجرد عدم العدل يُعَدّ مانعاً من التعدد لقوله تعالى : ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً ﴾ ولو أن المعدّدين عقلوا قول الله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا﴾[1] أي أقرب من ألا تميلوا أو تجوروا . أقول : لو عقلوا هذا لوقفوا عندا الحدود ؛ فإما واحدة فقط ، وإما عدل يجلب الهناء وينفي الشقاء فلا يكونون بتعديهم مطلِقي ألسنة أعداء الإسلام بالنيل منه عن طريقهم لمعاملتهم أزواجهم معاملة شاذة جائرة إنهم بهذا شوّهوا وجه دينهم ومكنوا خصومهم من الطعن فيه .

---

(١) ألا تعولوا: أي لا تكثر من عيالكم . والعرب تقول عال يعول وأعال يُعيل أي كثر عياله وهذا ما ذهب إليه الإمام الشافعي وأيده الكسائي وأبو عمرو الدُّوري وابن الأعرابي . وقيل: (أي لا يكثر من تعولون إذا اقتصر المرء على واحدة وإن أباح له أكثر منها) . يقال: عال الميزان: إذا مال، وعال الحاكم: إذا ظلم .

الحكمة في إبقاء الله تعالى التعدد مباحاً

أولاً : الرجل مستعدٌّ للإعقاب طوال حياته . أما المرأة فإنها غير مستعدة له إلا إلى السنة الخامسة والخمسين من عمرها ثم ينقطع حملها لدخولها في سن الإياس، وأن أقصى ما تستطيع المرأة إعقابه غالباً هو عشرون ولداً وهو ربع ما يستطيعه المتزوج بأربع حرائر .إنه يستطيع استيلادهن ثمانين ولداً .

ولئن لم يهو بعض الناس هذه الكثرة فإن كثيراً من الموسرين والأمراء يهوَوْنها بل إن الأمة بمجموعها تحبّها فإن النصر من أسبابه الكثرةُ والمسلمون أمة وَلُود أذابوا غيرهم فيهم في كل قُطر حلّوه عن طريق التزاوج وقديماً قيل : (وإنما العزة للكاثر) والمسلمون أحوج ما يكونون إلى هذه الكثرة لكثرة أعدائهم .

ثانياً : جاء الإسلام والعرب في جاهليتهم كانوا يعيشون في فوضى تعدد الزوجات الذي لا يقف عند حد فكان لا بد والحالة هذه من الحدّ والإبقاء على التعدد ليكون علاجاً للإبعاد عن الزنى الذي حرّمه ؛ لأن التشريع يسير على قاعدة أنه كلما حرّم على الناس شيئاً فتح لهم باباً من الحلال ليعوِّضهم عما قد يفوتهم مما حرمه عليهم .

أما الأمم الأجنبية فقد وجدت الحل رخيصاً حين أباحت معاشرة النساء دون قيد أو شرط فسدّت باب تعدد الزوجات وفتحت أبواباً أخرى فنشأ عن هذا عشرات الألوف بل ملايين من الأولاد

المتشردين وغير الشرعيين حتى اضطرت بعض الدول للاعتراف بشرعيتهم لكثرة أعدادهم فزادت البلاء بلاءً برفعها عن هذه الجريمة النكراء العار حين جعلت آثار السفاح كآثار النكاح الصحيح .

ومما يلفت النظر أننا في الوقت الذي ننادي فيه بمنع التعدد أو تقييده ينادي الكُتّاب والمصلحون الغربيون بالبحث عن علاج لتشرد البنات وانتشار الفسق والفجور وكثرة اللقطاء ويربطون بين المنع من تعدد الزوجات وبين كل ذلك ويعترفون بأنه لو كان تعدد الزوجات مباحاً لما نزل هذا البلاء ، بل إن بعض الدول الغربية بدأت تفكر فعلياً بإدخال نظام تعدد الزوجات ضمن تشريعاتها لمّا عجزت كل الوسائل التي لجؤوا إليها في ظل تحريم التعدد عن علاج لهذه المفاسد كما تطالعنا به الصحف والمجلات من حين لآخر ، **يقول غوستاف لوبون** : (إن تعدُّد الزوجات عند الشرقيين أفضل من تعدد الزوجات السرّي عند الأوربيين)[١] .

أما ما يفعله بعض السفهاء باسم الإسلام من تعدد الزوجات مع عدم القدرة أو عدم العدل مما يترتب عليه مفاسد كثيرة ليس من الإسلام في شيء، ولا يعتبر عيباً يعاب به الإسلام ؛ لأن أصل التشريع شيء وسوء التطبيق شيء آخر .

فمن لم يتأكد من قدرته على العدل لم يجز له شرعاً أن يتزوج

---

(١) كتاب (حضارة العرب) ص ٤٨٢ .

بأكثر من واحدة ، حتى الواحدة إذا خشي أنه يظلمها يحرم عليه الزواج ولو تزوج كان العقد صحيحاً بالإجماع ، ولكنه يكون آثماً ، قال ﷺ : « مَنْ كَانَتْ لَهُ امْرَأَتَانِ فَمَالَ إِلَى إِحْدَاهُمَا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَشِقُّهُ مَائِلٌ »[1].

وقال أيضاً ﷺ : « إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللَّهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ : الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ ، وَأَهْلِيهِمْ ، وَمَا وَلُوا »[2]؛ أي وما دخل تحت ولايتهم .

ثالثاً : قد يتزوج الرجل امرأة للنسل ـ وهو الحكمة الكبرى للزواج ـ فيجدها عاقراً لا تلد وهو راغب في الذرية ولا يريد طلاقها حباً بها أو شفقة عليها ، فمن مصلحتها والحالة هذه أن ينكح أخرى غيرها تأتيه ما تَقَرُّ عينه به من الذرية مع بقاء الأولى ناعمةً بنعمة الزواج .

ولقائل أن يقول : قد يكون الزوج عقيماً مع رغبة الزوجة في الذرِّية .. ؟

الجواب : فتح الشرع أمامها باب (الخُلع) فتفتدي نفسها بمال تدفعه للزوج ليطلقها قال تعالى : ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ ﴾[3].

---

(١) رواه أبو داود، برقم: (١٨٢١) .

(٢) رواه مسلم وغيره عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما .

(٣) سورة البقرة، الآية: (٢٢) .

رابعـاً : مـرض الزوجـة مرضـاً مزمنـاً... **ورب قائـل يقـول** قد يحصل عكس ذلـك ؛ أي أن يمـرض الـزوج مرضـاً مزمنـاً منفـراً ويطول مرضه فما موقف الشرع من هذه الزوجة والطلاق بيـد الرجـل وليس بيدها ...

الجواب : إن وجدت في نفسها القدرة على الصبر عليه وخدمتـه واحتسبت ذلك عند الله عز وجل حـتى يفـارق زوجهـا الحيـاة فـذلك خير وأبقى .

وإن لم تجد في نفسها ذلك وخشيت الوقوع في الحرام في خيانـة الزوج فإن الشرع فتح أمامها باب الخـلاص وهـو أن ترفـع أمرهـا إلى القاضي الذي يتولى التفريق بينها وبينه .

والقاعـدة في ذلـك كلـه حـديث رسـول الله ﷺ : «لا ضَـرَرَ وَلا ضِرَارَ »[١][٢].

خامساً : ثبت أن كثيراً من الرجال لا تُشبع غرائزهم امرأةٌ واحدة فلا يفتؤون يتطلعون إلى غير ما لديهم بشغف فإذا لم يفـتح لهـم بـاب النكاح الصحيح ، وقعوا في الزنى القبـيح وفقـدوا كرامتـهم وشـرفهم وضيعوا دينهم وخلقهم.

سادساً : قد يتزوج الرجل وهو ذو مزاج حارٍّ مهتـاج يدفعـه إلى كثرة الوطء ، وقـد تكـون المـرأة قليلـة الرغبـة في المباضـعة بعكـس

---

(١) أي: لا يضر الرجل أخاه فينتقصه شيئاً من حقه .

(٢) رواه ابن ماجه عن عبادة بن الصامت . برقم: (٢٣٣١).

مزاجه فماذا يصنع لإشباع رغبته ؟ .. هل هو إلا الزنى لو لم يفتح له باب الزواج من أخرى ، أو العيش في عَنَتٍ شديد .

وهنا **قد يقول قائل** : قد تكون المرأة (الزوجة) شَبِقة لا يُشبعها زوجها فتبقى متطلعة إلى الارتواء ؟ ماذا تصنع مع هذه الزوجة .. ؟

الجواب : إن وجدت في نفسها الصبر والتحمُّل على ذلك فذلك خير وأبقى . وإن لم تجد في نفسها ذلك وخشيت الوقوع في خيانة الزوج فإن الشرع فتح أمامها باب الخلاص وهو أن ترفع أمرها إلى القاضي الذي يتولى التفريق بينها وبينه ، والقاعدة في ذلك أيضاً حديث رسول الله ﷺ : « **لا ضرر ولا ضرار** » .

سابعاً : قد تكون المرأة طويلة الحيض إلى عشرة أيام كما يقول الحنفية أو إلى خمسة عشر يوماً كما عند الشافعية وهو أكثر الحيض عندهم ، وقد يمتد نفاسها إلى أكثره وهو أربعون يوماً عند الحنفية وستون عند الشافعية ، وقد يكون الرجل مع هذا قويَّ الغريزة غزير المادة ، والله تعالى حرّم إتيان الحائض والنفساء فماذا يكون من الرجل آنئذ ؟ ... ، إنه إما أن يصبر ولا يصبر إلا متين الدين ، راسخ الصلاح ، وإما أن يأتيَ زوجته مع الحظر الشرعي فيأثم أو يمشي إلى الفواحش ، وهناك البلاء الأعظم .

ثامناً : قد يكون الرجل في قطر بعيد عن امرأته فيُضطَرّ إلى الزواج بغيرها تصوناً عن القبيح .

تاسعاً : النساء في أكثر الأمم أكثر من الرجال وقد تزداد هذه الكثرة في أعقاب الحروب التي تجتاح الآلاف بل الملايين من الرجال ، فيتفاحش عدد الأيامى والعازبات .

وقد بلغ عدد الأيامى من النساء في أوربة ما يزيد على (٢٥) مليون امرأة بعد الحرب العالمية الثانية .

وهذا ما قاله الدكتور عبد السلام العجيلي في مقابلة إذاعية : (إن المرأة أكثر وجوداً على الأرض ، وإحصاءات المواليد في العالم تثبت أن مواليد الإناث أكثر) كما هو الشأن في كثير من البلدان كشمال أوربا ، فإن عدد النساء حتى في غير أوقات الحروب يفوق عدد الرجال بكثير ، وقد دلت الإحصاءات في (فنلندا) أنه من بين كل أربعة أطفال أو ثلاثة يولدون يكون واحد منهم ذكراً والباقون إناثاً.

وفي (ألمانيا) يوجد ثلاث فتيات مقابل كل شاب ففي هذه الحالة يكون التعدد أمراً واجباً ، فلو حظر الزواج بأكثر من واحدة فهل لأولئك التعيسات وقد حرمن من نعمة الزواج إلا الخدمة في المطاعم والفنادق والمعامل وهن في خلال ذلك يتاجرن بأعراضهن ويبعنها بأبخس الأثمان؟ أين الرحمة بالنساء إذا فُتح عليهن باب الشقاء والسقوط في الرذيلة ، وأُغلق عنهن باب الرحمة في الحياة الزوجية الشريفة ؟ ...

ثم ماذا يفعل أولئك البوائس حال الحمل من الزنى بالوحم وآلامه والوضع ومشقاته ثم بالحضانة والإرضاع والتغذية والكسوة لما يضعن ؟ وهل يُنتَظر من ابن الزنى وقد نشأ بلا أب ولا موجّه إلى

العلم ، والنفس بطبعها تبطئ عنه هل ينتظر منه إلا أن يكون داعراً فاسداً على نفسه وعلى الناس ؟

الزنى غالب الوقوع عند تفاحش الكثرة من النساء كما يقع في أوربا فيصير إليه النساء بتأيثر الجوع والحرمان أو بتأثير الشهوة الطبيعية أو بإغراء العاهرين من الرجال وما أكثرهم وهل للعاهرين من أمانة ؟ ... إنه يزني ثم يزني ويتخذ الزنى دَيْدَناً له ولا يبالي ما يترك عمله هذا من فواجع وحسرات في قلوب المَزني بهن الشقيّات وقلوب أهليهن .

هذا الواقع المزري بالقيم الأخلاقية والإنسانية دفع بعضاً من كُتّاب الغربيين وكاتباتهم على استحسان تعدد الزوجات ؛ إذ رأوْه أحمدَ سلوكاً ، وأسلم عافية من فقر يواكبه عُهر في المرأة التي لا كافل لها .

رد على اعتراض : ورب سائل يقول : في حالة زيادة الرجال على النساء لماذا لا يباح للمرأة تعدد الأزواج ؟

أقول في الرد على هذا الاعتراض : إن المساواة بين الرجل والمرأة في أمر التعدد مستحيلة طبيعة وخِلقة وواقعاً ؛ ذلك لأن المرأة في طبيعتها لا تحمل إلا في وقت واحد ومرة واحدة في السنة كلها ، أما الرجل فخلاف ذلك فمن الممكن أن يكون للرجل أولادٌ عديدون من نساء عديدات ولكن المرأة لا يمكن أن يكون لها مولود واحد من أكثر من رجل واحد .

وأيضاً تعدد الأزواج بالنسبة للمرأة[1] يضيع نسبة ولدها إلى شخص معين وليس الأمر كذلك بالنسبة إلى الرجل في تعدد زوجاته .

وشيء آخر وهو أن للرجل رئاسةَ الأسرة في جميع شرائع العالم فإذا أبحنا للزوجة تعدد الأزواج فَلِمَنْ تكون رئاسة الأسرة ؟ أتخضع لهم جميعاً ـ وهذا غير ممكن لتفاوت رغباتهم ـ أم تخص واحداً دون الآخرين ؟ وهذا ما يسخط الآخرين . وهناك أمور تتعلق بنسبة الولد إلى أحد الأزواج ، وأمور تتعلق بالاتصال الجنسي لا تخفى على من كان عنده أدنى إدراك أو بصيرة : من إرهاق للمرأة وإضرار بها ، ومن وقوع المشاكل العائلية ، والأمراض الجسمية والنفسية...إلى غير ذلك من الأضرار البالغة والعواقب الوخيمة .

إذن : فتعدد الأزواج بالنسبة للمرأة مستقبَح عقلاً وحرام شرعاً ، ومستحيل طبيعة وواقعاً ، فلا يقول به إلا مَنْ كان إباحيّ النزعة ، مدنّس السمعة ، فاسد الخلق ، عديم الغيرة ، ملوث الشرف .

عاشراً : ومن حِكَم الكثرة في التعدد إقرار عين النبي ﷺ ، فعَنْ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ رضي الله عنه قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ : إِنِّي أَصَبْتُ امْرَأَةً ذَاتَ حَسَبٍ وَجَمَالٍ وَإِنَّهَا لا تَلِدُ أَفَأَتَزَوَّجُهَا ؟ قَالَ ﷺ : «لا» .

---

(١) كان هذا في الجاهلية حيث يدخل على المرأة الواحدة ما دون العشرة ، فإذا حملت خصت واحداً منهم بأن الحمل منه فلا يستطيع أن ينكر فيتعرف ويلحق به ، وقد أبطله الإسلام وحرّمه .

ثُمَّ أَتَاهُ الثَّانِيَةَ ، فَنَهَاهُ ، ثُمَّ أَتَاهُ الثَّالِثَةَ فَقَالَ ﷺ : « **تَزَوَّجُوا الْوَدُودَ الْوَلُودَ فَإِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمُ الأُمَمَ** »[1] .

هذا ما ظهر لنا من حكم التعدد ، وقد تكون أكثر مما ذكرنا وصدق الله تعالى القائل : ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾[2] فهل يقول منصف بعد هذا بقبح التعدد؟

* * * *

---

(١) رواه أبو داود، رقم الحديث: ١٧٥٤.

(٢) سورة البقرة، الآية: (٢١٦) .

الرد على من يقول

إن سيدنا محمداً ﷺ خالف النص القرآني

حين أباح لنفسه أن يتزوج أكثر من أربعة

- يثير المستغربون نقلاً عن بعض المستشرقين نقداً صادراً عن جهل في غالب الأحيان .

خلاصته : أن الرسول صلى الله عليه وسلم خالف النص القرآني حين أباح لنفسه أن يتزوج أكثر من أربع زوجات ، ويتخذون هذا الاتّهام مادةً للهجوم على الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم بأنه رجل شهوة قياساً منهم على أكثر رجالات ورؤساء الدول والملوك الذين يخالفون النصوص القانونية في معاشرة النساء .

وللرد[1] على هذه الشُّبهة لابد أن نوضح عدة أمور نوجزها فيما يلي :

---

(١) **أهم رد على هؤلاء قوله تعالى :** ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّـٰتِىٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّـٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَـٰلَـٰتِكَ ٱلَّـٰتِى هَاجَرْنَ مَعَكَ وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِىِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِىُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ **أي إنا قد أبحنا لك يا محمد أنواعاً من النساء ، توسعة عليك وتيسيراً لك في الدعوة .** =

١ـ إن الرسول عليه السلام لم يبح لنفسه ما حرّمه على المسلمين بل تزوج جميع زوجاته حين كان التعدد غير مقيد ـ أي قبل نزول آية حصر عدد الزوجات بأربع ـ؛ لأن هده الآية نزلت بآخر السنة الثامنة للهجرة ، أي قبل وفاته بأقل من ثلاث سنوات .

٢ـ إن النبي العظيم صلى الله عليه وسلم لم يطلّق إحدى زوجاته بعد نزول آية التعدد فالخصوصية للرسول إذاً بعدم التطليق لا بإباحة التعدد بأكثر من أربع زوجات ، وبتعبير آخر لم يكن للتشريع الجديد أي مفعول رجعي بالنسبة له بالذات وسبب ذلك هو عدم حل زواج زوجات الرسول لأحد المسلمين على خلاف بقية النساء المطلقات أو المتوفى عنهن أزواجهن .

= فمن ذلك أننا أبحنا لك زوجاتك اللاتي تزوجتَهن بصداق مسمًّى، وهنّ في عصمتك (هذا أحد قولين للمفسرين، والآخر أن المراد جميع النساء. فقد أباح الله لرسوله صلى الله عليه وسلم أن يتزوج كل امرأة يعطيها مهرها وهذا أوسع من الأول واختاره القرطبي) واستدل بحديث عائشة رضي الله عنها (ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أحلَّ الله له النساء)، ﴿وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ﴾ ؛ أي وأبحنا لك أيضاً النساء اللاتي تملكهن في الحرب بطريق الانتصار على الكفار. وإنما قيَّدهن بطريق الغنائم لأنهنَّ أفضل من اللائي يُمْلَكن بالشراء، فقد بُذل في إحرازهن جهدٌ ومشقة لم يكن في الصنف الثاني ﴿خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾؛ أي خاصة لك يا محمد دون سائر المؤمنين، فإنه لا يحل لهم التزوج بدون مهر، ولا تصح الهبة، بل يجب مهر المثل . (وهذه خصوصية لرسول الله صلى الله عليه وسلم دون غيره) .

فلو طلق الرسول ﷺ إحدى زوجاته لاختلّت مكانتها بين سائر المسلمين فحرصاً على كرامتهن أحل الله له بقاءهن دون تفريق، وأعلى من مكانتهن حتى حرّمهنّ على الناس فأصبحن أمهات المسلمين ونزل قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾[1].

٣ـ إن النبي عليه الصلاة والسلام لم يتزوج زوجاته طمعاً في شهوة أو جنس كما يتصور أعداء الإسلام الذين لا يفهمون الأمور إلا على أساس اللذة والمصلحة.

بل تزوج رغبة منه في تأليف القلوب وجمع النفوس حوله من الأنصار عن طريق المصاهرة من جهة، ومن جهة أخرى كانت زوجات الرسول أمهات المؤمنين مُدرّساتٍ لنساء المسلمين في أمور دينهن وخاصة في الأحكام التي يتعذر على الرجال الاستفسار عنها لصلتها بالنساء، فقد كانت كل زوجة من زوجاته مرجعاً للفتوى والتدريس والوعظ والإرشاد، وتنقل عن رسول الله ﷺ الأحكام التي تحتاجها النساء في شؤونهن كما ذكر العلماء[2] حِكماً أخرى لتعدد زوجات الرسول الله ﷺ يجدر بنا ذكرها.

---

(١) سورة الأحزاب، الآية (٥٣). من خصوصياته عليه الصلاة والسلام: أنه لا طلاق له، كما لا زكاة واجبة عليه، وأن زوجاته أمهات المؤمنين يحرم الزواج بهن.

(٢) انظر: التاج الجامع للأصول ج٢/٢٨١ لمنصور علي ناصيف.

أحدها : كثرة الأعوان والأنصار من الأصهار ليقوى على من يعاديه حتى يبلّغ رسالة ربه .

ثانيها : تشريف القبائل بمصاهرته صلى الله عليه وسلم .

وثالثها : كثرة من يشاهد أحواله الباطنة (حياته الخاصة) فينتفي عنه ما أشاعه الكفرة من أنه ساحر أو كاهن أو يتعلّمه من أعجمي مثلاً.

ورابعها : الاطلاع على محاسن أخلاقه الباطنة فقد تزوج صلى الله عليه وسلم أم حبيبة (رملة) بنت أبي سفيان وهو من ألدّ أعداء النبي صلى الله عليه وسلم حينذاك لأنه كان كافراً بل رأس الكفار .

وخامسها : نقل الأحكام الشرعية التي لا يطلع عليها الرجال لأن أكثر ما يقع من الزوجة من شانه أن يخفى .

٤ـ مما يؤكد زهد الرسول عليه الصلاة والسلام بما يُرغّب في النساء أنه تزوج جميع زوجاته وقد تجاوز الخمسين من العمر وكنّ جميعاً زوجات مطلقات أو أرامل ما عدا السيدة عائشة فقد تزوجها بكراً وكانت صغيرة وعدد زوجاته ﷺ إحدى عشرة[١] :

---

(١) الذي عليه كتب السيرة والمحققون من أهل العلم والحديث أن الرسول جمع بين تسع نسوة في وقت واحد هو المعتد به والمشهور، ولا عبرة بما ذكره بعض المؤرخين كالطبري من أن الرسول صلى الله عليه وسلم تزوج من خمس عشرة امرأة وجمع بين إحدى عشرة. ومما يؤيد الجمع بين تسع نسوة في آن واحد ما روى ابن كثير عن ابن جرير، وابن أبي حاتم عن قتادة والحسن : أنه لما نزلت آية التخيير وهي قول الله =

خديجة بنت خويلد رضي الله عنها[1]: وقد تزوجها الرسول

= تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ...﴾ كان تحته صلى الله عليه وسلم تسع نسوة الأحزاب: ٢٨ـ ٢٩.

ويمكن الجمع بين الروايات فإذا نظرنا إلى عدد زوجاته اللواتي دخل بهن أو فارقهن وعدد إمائه يكون المجموع /١٥/ وإذا نظرنا إلى اللواتي دخل بهن فقط يكون المجموع/١١/وإذا نظرنا إلى اللواتي نزلت في حقهن آية التخيير إلى أن توفي صلى الله عليه وسلم يكون المجموع/٩/ .

خلاصة القول: إن الرسول صلى الله عليه وسلم تزوج إحدى عشرة سيدة بعد خديجة منهن ست من قريش وخمس من سائر العرب، وواحدة قبطية والله أعلم.

(١) كانت تدعى في الجاهلية بالطاهرة لشدة عفافها وصيانتها، وهي أول امرأة تزوج بها النبي وكانت قبله تحت أبي هالة ثم عتيق بن عائذ وكان صداقها اثنتي عشرة أوقية من الذهب ولم يتزوج عليها صلى الله عليه وسلم حتى ماتت، وهي أفضل نسائه على الراجح، وروت عنه حديثاً واحداً.

افتراء ظالم: ذكر (مرجليوث) أن مال خديجة هو الذي جذب محمداً ﷺ وجعله يتجاوز عما بينه وبينها من فارق السن، أما (بلاشير) في كتابه: la proble mede mohamed فيرى الجاذب: الرقة المتناهية والحنان الغامر، وأعجبُ من هذا وهذا (موير) الذي ذكر في كتابه: the life of mouhamed and the history of islam أن محمداً كان يتهيَّب خديجة لمركزها المالي والاجتماعي، وخاف أن تطالبه بالطلاق. وفي الحقيقة كذب الجميع بما ادعوا: فخديجة في الواقع هي التي فكرت بمحمد وهي التي طلبت الزواج منه. =

بعد أن جاوزت الأربعين من عمرها، وكان هو ﷺ في الخامسة والعشرين من عمره.

وبقي عليه السلام مع السيدة خديجة خمساً وعشرين سنة دون

= وكيف يمكن أن يفكر بها هو وهي التي ردت كبار الخُطَّاب من سادات قريش ؟ فمن يدعي أن الرسول صلى الله عليه وسلم تزوجها لمالها إذ هي في الأربعين، وهو في الخامسة والعشرين، لم يطَّلع على التاريخ والسيرة، فبنى مثل هذا الحكم على جهل وقلة دراية وعدم مطالعة.

ووفاءُ سيدنا محمداً ﷺ لخديجة بعد موتها أكبر دليل على حبه لها وتمام علاقات المحبة والألفة بين زوجين متفاهمين سعيدين، هل يعقل أن محمداً يخاف أن تطالبه خديجة بالطلاق أيام حياته معها، وهو الذي يخاصم عائشة فيها بعد وفاتها، ويأبى عليها أن تمسّ ذكرها ؟ كيف يخشى الطلاق منها.

وهو الذي سمّى عام موتها (عام الحزن) ؟ وهي السنة العاشرة للبعثة قبل الهجرة بثلاث سنين وذلك لتفاهم الزوجين ومحبتهما.

لم يُفكّر ﷺ بالزواج بعدها حتى ساق الله إليه (خولة بنت حكيم) التي شعرت بالفراغ الذي جرى بفقد خديجة، فخطبت له (سودة بنت زمعة رضي الله عنها).

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «والله ما أبدلني الله خيراً منها، آمنت بي حين كفر الناس، وصدقتني إذ كذبني الناس، وواستني بمالها إذ حرمني الناس، ورزقني منها الله الولد دون غيرها من النساء».

إذن فما هي الدلائل التي استدل بها هؤلاء المستشرقون على ادعاءاتهم المزعومة ؟ لا جرم أن هذا تخمين وحقد وتخيُّر لا دليل له فلا يؤخذ به

انظر كتاب (الإسلام في قفص الاتهام) شوقي أبو خليل ص ٢٥٣ـ ٢٥٤.

أن يتزوج سواها وكل أولاده منها إلا إبراهيم فمن مارية القبطية[1] ولما بلغت خديجة الخامسة والستين من عمرها نزل بها المرض وتوفيت قبل الهجرة بثلاث سنوات رضي الله عنها .

ب ـ وبعد وفاة السيدة خديجة تزوج ﷺ السيدة عائشة[2] رضي

---

(١) سرية من السراري جاءت هدية من المقوقس عظيم مصر ومعها أختها (سيرين). . بلغ الرَّكْبُ المدينة المنورة وفي نفس الشقيقتين ألم الفراق والغربة، فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم مارية من الهدية، ووهب أختها لشاعره (حسان بن ثابت رضي الله عنه) .
كان لهذا الزواج صلة رحم مع مصر : (اللهَ اللهَ في أهل الذمّة. . .)
ويقول صلى الله عليه وسلم : « استوصوا بالقبط خيراً ، فإن لهم ذمّةً ورحماً » .

(٢) ويقال أول حب وقع في الإسلام حب النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها فكانت أحب نسائه إليه. وروت عن النبي صلى الله عليه وسلم ألفين ومائتي حديث وعشرة أحاديث، وماتت بالمدينة في خلافة سيدنا معاوية رضي الله عنه سنة ثمان وخمسين، وهي بنت ست وستين سنة .وصلى عليها أبو هريرة . أما صداقها فأربعمائة درهم .
رد على تصور هابط : إن في الناس اليوم من قد أشبعوا بالتصور الهابط لمعنى الحب الذي لا يفسر إلا على أساس الغريزة، فاتخذوا من حبّ رسول الله صلى الله عليه وسلم للسيدة عائشة أو بقية نسائه ومن الحديث الصحيح المشهور الذي يقول فيه رسول الله : « حُبِّب إلي من دنياكم الطّيب والنّساء وجعلت قرة عيني في الصلاة . . . » ذريعة للنيل من هذا الحبّ القُدسي الطاهر قياساً على الحبّ الذي كان شائعاً في الجاهلية عن تجاهل أو سوء قصد .
=

= غير أن الحقيقة التي يتجاهلها كثير من الناس ـ حتى بعض المثقفين الإسلاميين السطحيين ـ ويغضّون الطرف عنها هي أن حبَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم لعائشه خاصة وللمرأة عموماً يُبرز أمامنا فضيلة من أجلّ الفضائل التي يتصف بها عليه الصلاة والسلام، ويضعنا أمام مظهر فريد من سموّ إنسانيته وصفاء فطرته .

وإليك بيان ذلك : بعث الله سيدنا محمداً ﷺ ليتمم مكارم الأخلاق وليصحح المفاهيم الفاسدة التي كانت شائعة في حياة العرب قبل الإسلام وأغلبها كانت بحاجة إلى التوجيه والتصويب وإبراز الوجه الصحيح لها .

فمثلاً : كانوا يحفلون بمشاعر الحب للمرأة، ويترجمون الكثيرمن هذه المشاعر في أشعارهم الغزلية، ومن خلال علاقاتهم الجنسية .

غير أنهم كانوا يمارسون هذا الحب من وجهه الأناني واللا أخلاقي الأرعن .

فكان حب الرجل العربي للمرأة، في العصر الجاهلي ترجمانَ حاجته الغريزية إليها حتى إذا تحققّت رغبته فيها وأشبعت نفسه منها تحولت إلى متاع مطروح في زاوية الدار، تُملك ولا تَملك ، وتأتمر دون أن تأمر، وتعنو لحق الرجل دون أن يعنو الرجل لأي من حقوقها . . . . . فإذا اهتاجت بالرجل الغريزة ثانية، عاد إلى أنشودة غزله وترانيم حبه، سعياً وراء إشباع أنانيته من خلال لغة تَوْقِه ووجده، حتى إذا وصل إلى ما أراد، عاد فطرح المتاع في مكانه . . .

فبعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما كانت لتصحيح هذه الأوضاع، ولتقويم هذا السلوك، ولإبراز الوجه الإنساني الصحيح لهذه العلاقات المقلوبة والمفاهيم المعكوسة .

ولعل مفهوم علاقة الرجل بالمرأة وأساس ذلك من الحب الساري بينهما، من أخطر هذه الأوضاع وأحوجها إلى الرعاية والتقويم . =

= وهذه المهمة لم تكن لتنجح عن طريق الوصايا والتعليمات النظرية فحسب بل عن طريق الأسوة والقدرة والسلوك، وتلك هي الحكمة من أن الله عز وجل صاغ منه عليه الصلاة والسلام القدوةَ المثلى في الأخلاق الإنسانية الراشدة والعلاقات الاجتماعية السلمية، ورعاية الغرائز الإنسانية على نهجها القويم .

إذن فقد كان لا بد ـ لكي يتأتى لرسول الله ﷺ أن يصحّح مفهوم حب الرجل للمرأة ويقلبه إلى وجهه الإنساني السليم ـ من أن يُريَ العرب والناس جميعاً من نفسه وسيلةَ إيضاح عمليّة ومظهر قدوة سلوكيّة ، تماماً كما أرانا من خلال أخلاقه الإنسانيّة العامة وعلاقاته مع الآخرين، الوجه الصحيح .

فمن هنا برزت لنا في حياته صلى الله عليه وسلم الصورة الإنسانية والاجتماعية المثلى لعلاقة ما بين الرجل والمرأة عموماً، وحب الرجل للمرأة خصوصاً .

أجل لقد لفت نظرنا ﷺ من خلال سلوكه في حبّه لعائشه رضي الله عنها وخصوصية هذه العلاقة معها، كما لفت نظرنا ﷺ إلى حبه للمرأة من خلال قوله ﷺ : «حُبِّب إلي من دنياكم الطيب والنساء، وجعلت قرة عيني في الصلاة » .

ورأينا أن حبه ﷺ لعائشة رضي الله عنها خاصةً والمرأة بصفة عامة نابع من مصدر التكريم لها والسّمو بمكانتها والتّقديس لمعنى (السكن) الذي نسجته يد الحكمة الربّانيّة فيما بين الرجل وبينها .

ونظرنا فوجدنا أنه يترجم هذا الحب إلى المكانة الاجتماعية الباسقة التي بوّأ المرأة فيها : فأهليتها غدت في ظل الإسلام كاملة، تستشار كالرجل فانطلق ينفذ مشورتها (والمرأة هي أم سلمة رضي الله عنها) وتتعاقد =

الله عنها بنت صديقه أبي بكر (عقد عليها ﷺ وعمرها سبع سنوات، ودخل بها وعمرها تسع سنوات في المدينة، وتوفي صلى الله عليه وسلم وعمرها ثماني عشْرة سنةً) .

= مع الرجال وتقاضيهم إلى ميزان العدالة وترث وتورّث، وتستحق من الأجر على العمل الذي تتقنه كالذي يستحقّه الرجل على السواء .

وهكذا فإن حبّه صلى الله عليه وسلم للمرأة عموماً، ولعائشة خاصة كانت وسيلةَ إيضاح عملية لما يجب أن تكون عليه علاقة الرجل بالمرأة في ظل الفطرة والغريزة الإنسانية . والقدوة التي جعل الله منه صلى الله عليه وسلم مصدراً وإماماً لها، لا يتحقق معناها بين الناس بالنصائح والأقوال، وإنما يتجسد معناها بالسلوك والأفعال .

ثم تأمل في التفسير العملي لحبه صلى الله عليه وسلم للمرأة، ولعائشة نموذجاً لها، أَفَتَرَى في هذا الحب ما قد يُشين أو ما قد يهبط بمكانته الأخلاقية إلى أي نهج أو سلوك يزري بأيٍّ من المبادئ الإنسانية أو القيم الأخلاقية أو الأحكام الإسلامية ؟ لو كان حبه هذا لَحاقاً منه بالمتعة والأهواء إذن لظهر ذلك في نوع المعيشة التي كانت معروفة في بيت النبوة ولما رأينا حياة عائشة معه أو حياته معها قائمة على الشَّظف والزُّهد . ولما خيّرها وخيّر صواحباتها ـ عندما رغبن في المزيد من متعة العيش ـ بين الطلاق مع ما يطلبنه من التمتع وإيثار الدار الآخرة والبقاء مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الصبر على شظف العيش . . بل كان ينبغي أن نرى رسول الله المحبّ أسبق إلى الرغبة في تمتيع نسائه بزينة الدنيا ورغدها، من رغبتهن في ذلك .

من كتاب (عائشة أم المؤمنين) للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي مع قليل من التصرف .

اقترحت (خولة بنت حكيم) على الرسول صلى الله عليه وسلم أن يتزوج عائشة فيتفتح قلبه صلى الله عليه وسلم لصلة تؤيد ما بينه وبين أحب الناس إليه من صحبة وقربى ، تربطهما معاً برباط المصاهرة الوثيق .

ولم تدهش مكة حين أُعلن نبأ المصاهرة بين أعز صاحبين حبيبين وأوفى صديقين بل استقبلته كما تستقبل أمراً طبيعياً مقرراً .

بل لم يدُرْ بخلد واحد من خصومه الألداء أن يتخذ من زواج محمد صلى الله عليه وسلم من عائشة مطعناً عليه أو منفذاً للتجريح والاتهام ، وهم الذين لم يتركوا سبيلاً للطعن عليه إلا سلكوه ، ولو كان عبثاً وبهتاناً .

- وقد أثار زواج الرسول عليه الصلاة السلام منها زوبعة كبيرة من النقاشات رغم تطاول الأزمان ، ولعل كل الطروحات التي ناقشها المستشرقون عن فارق السن الكبير بين الرسول وبين عائشة التي دخل بها وهي في سن التاسعة ، هي طروحات بعيدة عن إدراك طبيعة الحياة الاجتماعية في الجزيرة العربية في ذلك الوقت .

فهي ليست أول صبية صغيرة تزف إلى رجل في سن أبيها ولم تكن آخرهن ، فقد تزوج عبد المطلب جد الرسول من هالة ابنة عم آمنة ، وهو شيخ ، في نفس اليوم الذي تزوج فيه أصغر أبنائه عبد الله من آمنة .

كما تزوج عمر بن الخطاب رضي الله عنه من بنت علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو يفوق والدها في العمر .

ولا تزال هذه العادات سائدة في كثير من بيئات الجزيرة العربية وفي أكثر مناطق آسيا وإفريقيا، وفي بعض مناطق أوربا وأمريكا حتى اليوم .

فميقات النضج الجسمي في الفتيات يختلف ، باختلاف البيئة والمناخ . فالبلاد الحارّة كالجزيرة العربية وكثيرٍ من البلاد الإفريقية ، تبلغ فيها الفتاة مرحلة الطّمث ، ومن ثمّ مرحلة الأنوثة الناضجة ، وهي في سنٍّ مبكرة .

إنه لشيءٌ مألوف في مصر مثلاً أن ترى الفتاةُ الطّمث وهي في العاشرة . وربما رأته في كثير من مناطق نجد والسّودان ونيجريا قبل ذلك .

وهذا على النقيض من البلاد الباردة كبلاد آسيا الوسطى[1] ، وكثير من مناطق أوربة. فربّما تجاوزت الفتاة الرابعة عشرة دون أن ترى الطمث.

وهذا هو الذي يفسّر تعامل المجتمع المكي مع مشروع زواج رسول الله ﷺ من عائشة بإيجابية تامة غير متكلّفة .

إنه ليس رضاً بوضع شاذّ ، ولكنه انسجام طبيعي مع واقع المناخ والبيئة .

---

(١) فمثلاً نصوج الفتاة في المناطق الحارة في سن مبكرة جداً وهو سن الثامنة وتتأخر الفتاة في المناطق الباردة كشمال النروج والسويد وكندا وسيبرية إلى سن الواحدة والعشرين .

ـ وهنا قد يقول أحدهم[1] : هَبْ أن الأمر كذلك ، ولكن أليس من الظلم أن يقترن رجل عمره تجاوز الخمسين بفتاة عمرها تسع سنوات ؟...

والجواب الذي لا يغيب عن فكر أي باحث موضوعي : هو أن فارق ما بين الظلم وغيره لا يتجلى في شعوري وشعور هؤلاء المستشرقين تجاه هذا الأمر الذي لسنا نحن أبطالَه ، ولسنا مصدر الغُرْم أو الغُنْمِ الذي فيه .

وإنما يتجلى هذا الفارق في شعور صاحبة العلاقة وأهلها المعنيِّين بالأمر... إن الحب والكراهية هما اللذان يفصلان في هذه القضية ، لا افتراضات الفضوليين وتصوّراتهم .

ولو أتيح لأحد هؤلاء أن يطلع على مشاعر السيدة عائشة رضي الله عنها تجاه زواجها من سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، لأيقن أنها كانت تعيش حياةَ أسعدِ زوجة في العالم بزوج .

ولقد صرحت هي بذلك أكثر من مرة . فما قيمة مشاعر الآخرين عندما تكون غريبة عن مشاعر صاحبة العلاقة ؟

لقد تنازل إدوارد الثامن عن عرش بريطانية ، بكل امتيازاته وذيوله في سبيل حبه لتلك التي كانت تتمتع ، كما قالوا ، بنصف جمال ، والتي طُلّقت قبله مرتين ، فهل يملك أحدهم أن يتغلب

---

(١) أي أحد المستشرقين أمثال (موير ودرمنجهم وواشنطون إرفنج ولامانس... ممن يروِّج عندهم رخيصُ الاتهام) .

بحجة المنطق التي يغار بها على سعادة إدوارد ومصلحته ، على حجّة الحب الذي هيمن على قلبه ؟

وإدوارد الثامن إنما عشق امرأة من حيث هي جسد وروح ، أما الذين عشقوا سيدنا محمداً ﷺ فإنما عشقوا في شخصه مولاهم الأكبر الذي هو الله عز وجل .

فكيف يفترض أحدنا أن يمتلك من غيرته الوهمية على مصلحة عائشة رضي الله عنها حجةً نستطيع أن نتغلب بها على حجّة قلبها اللاهف بالحب لرسول الله الذي بعثه رحمة للعالمين ؟

ثم إن تقدم شخص في مكانة سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى العالم كافّة ، في خطبة فتاة مسلمة في مثل سن عائشة ، سيكون مصدر شرف وسعادة لها ولأسرتها بدون ريب .

ولن يكون لذلك إلا شرط واحد هو يقين هذه الأسرة بالمكانة ذاتها التي يتّمتع بها هذا الرجل الخاطب .

إن المشكلة الأساسية في ذهن هؤلاء هي أنهم ينظرون إلى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أنه رجل عربي ادّعى لنفسه شأناً بين قومه . بينما نحن المسلمين نجزم بأنه سيد الرسل والأنبياء وآخرهم بعثة إلى العالم كله، وبأن كثيراً من الرسل والأنبياء السابقين قد أخبروا ببعثته ونوّهوا بعظم مكانته ...

وعندما يصل هؤلاء الحاقدون إلى هذا اليقين الجازم برسالة خير الأنام ستزول عن أذهانهم تلك الأوهام[1].

---

(١) انظر كتاب (عائشة أم المؤمنين) للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي حفظه الله تعالى.

ت ـ حفصة بنت عمر : الصَّوَّامة القوَّامة ، حافظة القرآن الكريم رضي الله عنها :

مات زوجها (خُنيس بن قيس بن عدي السهمي القرشي) وعرضها عمر على أبي بكر وعثمان فلم يقبلا ، فباركت المدينة يد الرسول صلى الله عليه وسلم وهي تمتد لتكريم عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وتأسو جرح ابنته (حفصة رضي الله عنها) .

باركت اليد التي امتدت لتجعل عمر رضي الله عنه يفتخر ويتباهى أنه إن رفض الصِّدِّيق عَرْضه ومن بعده عثمان ، فهذا رسول الله عليه وسلم قد طيَّب خاطره ، وجاء مَن هو أفضل منهما .

فصلى الله عليه وسلم هو الذي لم يُبْقِ في نفس عمر بن الخطاب أثراً من رفض الصِّدِّيق وعثمان حفصة .

فكان هذا الزواج إكراماً لخاطر حفصة من ناحية ، ولإحكام الصلة القوية بينه وبين أبيها من ناحية أخرى .

وقد روى المؤرخون أن عمر رضي الله عنه قال لابنته حفصة رضي الله عنها: (إنني أعلم أن رسول الله ما تزوج بك إلا لأجلي إذ ليس بك الجمال ما يبعثه للتزوج بك) .

* * * *

ث ـ أمُّ سَلَمَة : هند بنت أبي أمية بن المغيرة رضي الله عنها[1] :

تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد موت زوجها (أبي سلمة عبد الله بن عبد الأسد بن المغيرة) ، ابن عمة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأخوه بالرضاعة .

وبعد انقضاء عدتها ، طلبها الصِّدِّيق رضي الله عنه فرفضت برفق ، وتلاه عمر رضي الله عنه فلم يكن حظه منها غيرَ حظ صاحبه .

ثم خطبها النبي صلى الله عليه ، فقالت : إنها غَيْري ، مُسِنَّة ذات عيال ، فأجاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أمّا أنت مسنة فأنا أكبر منك، وأمّا الغيرة فيذهبها الله عنك ، وأما العيال فإلى الله ورسوله[2].

بلغ النبي صلى الله عليه وسلم في إعزازها وإعزاز أولادها ، أنه اختار ولدها سلمة زوجاً لابنة عمه (حمزة : سيد الشهداء)[3].



---

(١) روت عنه صلى الله عليه وسلم /٣٧٨/ حديثاً وباقي الزوجات كن تتراوح أحاديثهن بين /١١/ إلى /٦٥/ حديثاً وهذا التفاوت في رواية الحديث يرجع سببه إما إلى الذكاء، أو مدة الحياة الزوجية، أو امتداد العمر، أو الهواية والميل النفسي .

(٢) (السمط الثمين في مناقب أمهات المؤمنين: ٨٩) .

(٣) نساء النبي: ص١٢٦ ، عن الطبري ٣/١٧٧ ، والسمط الثمين: ١٦ .

ج ـ أمُّ حبيبة واسمها رملة بنت أبي سفيان رضي الله عنها :

تزوجها الرسول صلى الله عليه وسلم بعد ارتداد زوجها (عبيد الله بن جحش الأسدي) بعد الهجرة إلى الحبشة ، وكادت تهلك غماً وأسًى وحسرة بسبب ارتداده .

وبعد أن فارقها زوجها بقيت في بلاد نائية بعيدة لا عائل لها تعاني التشرد وأشجان الاغتراب ومرارة التنكر للآباء والأجداد... وتخشى العودة إلى أهلها وخاصة إلى أبيها عدوٍّ المسلمين الأول قبل إسلامه ...

في هذه الظروف دخلت خادمة النجاشي إليها تقول : إن الملك يقول لك وكِّلي من يزوّجك من نبي العرب ، فقد أرسل إليه ليخطبك له ، فلما سمعت (أم حبيبة رضي الله عنها) هذا الخبر ، وهذه البشرى نزعت سوارين لها من فضة فقدمتهما إلى الجارية حلاوة البشرى(١) .

ثم أرسلت إلى خالد بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس فوكلته في زواجها .

ودفع النجاشي أربعمائة دينار صَدَاقاً لها ـ وكانت عندئذ في الأربعين من عمرها أو أكثر ـ ولما عادت من الحبشة أكرمها رسول الله صلى الله عليه وسلم وعوضها الله خيراً من زوجها المرتد ، حيث أصبحت (أم المؤمنين) .

---

(١) نساء النبي: ص١٧٩ . عن السمط الثمين: ٩٧ ، والإصابة: ج٨ .

ولما سمع والدها أبو سفيان نبأ زواجها قال : **وهذا الفحل لا يجدع أنفه**[1] .

ولقد أخلصت أم حبيبة لرسول الله إخلاصاً ما بعده إخلاص فهو الذي أنقذها من غمها وحزنها وغربتها .

... فزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم من أم حبيبة كان **جمعاً لشملها ، وتكريماً لخاطرها ، وإنهاءً لوحشة الهجرة وسوء تصرف زوجها** .

ثم إنه تزوج من ابنة زعيم مكة (أبي سفيان) ؛ **فهو زواج سياسي** أيضاً . فلقد طمع النبي صلى الله عليه وسلم أن يجلب زعيم مكة ورأس الشرك فيها إلى الإسلام بالمصاهرة .

* * * *

---

(١) نساء النبي: ص١٨١ ، عن السمط الثمين: ٩٩ ، الاستيعاب: ٤/ ١٨٤٥.

ح ـ سودة بنت زُمْعَة رضي الله عنها :

تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد السيدة عائشة رضي الله عنها ، وذلك بعد وفاة زوجها الذي تحملت معه الأذى والضرر في سبيل الإسلام حين هاجر إلى الحبشة ، ولم يبق لها بعد وفاة زوجها معيل ولم يقدم الناس على الزواج بها لأنها لم تكن ذات جمال وكانت متقدمة في السن .

لقد تزوجها الرسول عليه السلام ليضرب للمسلمين مثلاً أن المال والجمال ليسا كل شيء من عناصر الترغيب في الفتاة بل الخلُق والدين وحسن العشرة لهم النصيب الأوفى في اختيار الزوجات...

فزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم منها كان جبراً لخاطرها المكسور بعد غربة الحبشة ومحنة التَّرمُّل ، وعزاء لها عن زوجها وابن عمها (السكران بن عمرو بن عبد شمس) وكانت في سن كبيرة ، فهل تزوجها الرسول لشهوة ؟

* * * *

خ ـ زينب بنت جحش رضي الله عنها[1] :

---

(١) الانتقادات في زواجه صلى الله عليه وسلم منها كثيرة أهمها :

يتشبث بعض أعداء الإسلام بروايات ضعيفة واهية، لا زمام لها، للطعن في الرسول الكريم والنيل من مقامه العظيم، وُجدت في بعض كتب التفسير !! من هذه الروايات الباطلة التي تلقفها (المستشرقون) وخبّوا فيها وأوضعوا .

خلاصتها : أن الرسول صلى الله عليه وسلم رأى (زينب) وهي متزوجة بزيد بن حارثة فأحبَّها ووقعت في قلبه فقال: (سبحان مقلب القلوب) فسمعتها فأخبرت بها زيداً، فأراد أن يطلقها فقال له الرسول «أمسك عليك زوجك» حتى نزل القرآن الكريم يعاتبه على إخفائه ذلك ..إلخ .

وهذه روايات باطلة لم يصح فيها شيء كما قال: العلامة (أبو بكر بن العربي) رحمه الله، والآية صريحة في الرد على هذا البهتان، فإن الله سبحانه أخبر بأنه سيظهر ما أخفاه رسول الله ﷺ :﴿ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ ﴾ بماذا أظهر الله تعالى ؟ هل أظهر حب الرسول وعشقه لزينب، أم أن الذي أظهره هو أمره عليه الصلاة والسلام بالزواج بها لحكمة عظيمة جليلة هي إبطال (حكم التبني) الذي كان شائعاً في الجاهلية .

ولهذا صرح الله تعالى بذلك وأبداه علناً وجهاراً : ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ ﴾ .

يا قوم اعقلوا وفكروا، وتفهموا الحق لوجه الحق بلا تلبيس ولا تشويش وتبصروا فيما تقولون، فمن غير المعقول أن يعاتب الشخص لأنه لم يجاهر بحبه لزوجة جاره ؟ =

= وحاشا الرسول الكريم ﷺ أن يتعلق قلبه بامرأة هي في عصمة رجل، وأن يخفيَ هذا الحب حتى ينزل القرآن يعاتبه على إخفائه، فإن مثل هذا لا يليق بأي رجل عادي، فضلاً عن أشرف الخلق عليه أفضل الصلاة والتسليم.

وغاية ما في الأمر ـ كما نقل في البحر ـ عن علي بن الحسين أنه قال: (أعلم الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن زينب ستكون من أزواجه قبل أن يتزوجها، فلما أتاه يشكوها إليه وقال له: اتق الله وأمسك عليك زوجك، عاتبه الله وقال له: أخبرتك أني مزوجكها وتخفي في نفسك ما الله مبديه)!!

ـ نستخلص مما تقدم الأمور التالية :

١ـ أن الذي أخفاه الرسول صلى الله عليه وسلم من الزواج أمر جائز مباح لا إثم فيه ولا عتب، لأنه خاف أن يقول الناس تزوج امرأة ابنه إذ كان قد تبناه فأخفاه حياء وحشمة وصيانة لعرضه من ألسنتهم . قال ابن عباس: خشي أن يقول المنافقون تزوج محمد امرأة ابنه .

٢ـ إن الذي أخفاه صلى الله عليه وسلم ليس الحبَّ لها كما زعم الأفّاكون بل هو إرادةُ تزوجِها ليبطل حكم التبني إلى أن أظهره الله سبحانه ...

٣ـ معنى قوله تعالى : ﴿زَوَّجْنَٰكَهَا﴾ جعلناها زوجة لك . قال المفسرون: إن الذي تولى تزويجها هو الله جل وعلا، فلما انقضت عدتها دخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم بلا إذن ولا عقد ولا مهر ولا شهود، وكان ذلك خصوصيةً للرسول صلى الله عليه وسلم، روى البخاري عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: (كانت زينب تفخَر على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وتقول: زوَّجكن أهاليكُنَّ، وزوَّجني ربي من فوق سبع سماوات) . =

كان زواجه صلى الله عليه وسلم منها **لأغراض تشريعية بحته هذا من ناحية ، ومن ناحية ثانية : كان للمحافظة على كرامتها بعد زواجها** من مولى فهي ابنة أميمة بنت عبد المطلب عمة الرسول صلى الله عليه وسلم خطبها لمولاه زيد بن حارثة ، فعز على أهلها أن تتزوج من مولى ، وقد وجدت في نفسها حرجاً فقالت :(لا أتزوجه أبداً وأنا سيدة أبناء عبد شمس) .

كذلك كره أخوها (عبد الله) أن تُزفَّ أخته الشريفة القرشية إلى مولى من الموالي ، ولكن النبي صلى الله عليه وسلم أصرَّ على زواج زيد منها ، ونزلت الآية الكريمة :﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ﴾[1] وتم للرسول ﷺ ما أراد **من تحطيم فوارق الطبقات وإعلاء كلمة الإسلام** .

ولم يكن قصةً غرامية كما اتخذها المستشرقون والمبشرون بل

= ٤ـ ذكر الله الحكمة من هذا الزواج ليُخرس بها ألسنة الأفاكين والمشككين في كل زمان ومكان فقال جل وعلا: ﴿لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا ﴾ أي لئلا يكون في تشريع الله على المؤمنين ضيق ومشقة وتأثّم في حق تزوج مطلقات الأبناء من التبني . وقال ابن الجوزي: المعنى زوجناك زينب وهي امرأة زيد الذي تبنَّيته لكيلا يُظن أن امرأة المتبنى لا يحل نكاحها .

(١) سورة الأحزاب ، الآية: (٣٦) .

كان في نفسه صلى الله عليه وسلم **رغبة لجبر خاطرها المكسور** حيث أكرهت على الزواج ممن لا ترضى إذعاناً لأمر الله ورسوله .

وما ذهب إليه المستشرقون من أنه صلى الله عليه وسلم ذهب إلى زيد فرآها فأُعجب بها فكمن الحب في قلبه ... كل هذه خيالات لا نرضاها لمؤمن عادي في عصرنا الحاضر ، نأبى له أن ينظر إلى زوجة جاره أو صديقه نظرة بشهوة أو بدون شهوة ، فكيف بمن زرع الإيمانَ في قلوب البشر ، وغرس فيها العفة ومراقبة الله ؟ هذا وغفل المستشرقون عن أنها قريبته ونبتت أمام ناظريه . **فالأمر تشريعي في الدرجة الأولى ، جبراً لخاطر مكسور ومن ناحية ثانية حيث** أصبحت ـ (زينب)[1] أم المؤمنين ـ زوجة رسول الله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم .



(١) انظر كتاب شوقي أبو خليل (الإسلام في قفص الاتهام) ص ٢٦٤ـ٢٦.

د ـ زينب بنت خزيمة رضي الله عنها :

أرملة شهيد استشهد في أحد[1] تزوجها إكراماً لزوجها الشهيد ، فكأنه احتضنها وقد بقيت عنده ثلاثة أشهر أو ثمانية فقط ثم ماتت .

ولم تكن ذات جمال ، وإنما عرفت بطيبتها وإحسانها حتى لُقِّبت (بـأم المسـاكين)[2] وصـفها المؤرخـون العـرب بحبِّهـا للمسـاكين ورحمتها إياهم ورقتها عليهم[3] .

والراجح أنها ماتت في الثلاثين من عمرها كما ذكر الواقدي ، ونقـل ابن حجر في الإصابة ، وهي سن رآها المحـدثون (متوسـطة تخطـت الشباب) (وتوفيت هي وخديجة في حياته ﷺ) .

* * * *

---

(١) قيل زوجها عبد الله بن جحش، وقيل الطفيل بن الحارث بن المطلـب ، وقيل عبيدة بن الحارث ... فهناك اختلاف في اسم زوجها .

(٢) نساء النبي ص: ١١٧.

(٣) في السيرة، ج٤، ص: ٩٤.

ذ ـ ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها :

(آخر نساء النبي صلى الله عليه وسلم)، تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة ، عندما دخلها المسلمون في السنة الثامنة للهجرة .

فتأثرت مكة بهذا الحشد الذي يهتف هتاف رجل واحد ، ومادت الأرض تحت أقدام المشركين وأحسُّوا كأن الجبال الشُّم الصِّلاب تكاد تتصدّع من رهبة وجلال الموقف ، هذا المشهد المهيب فعل في النفوس فعل السحر ، فإذا سيدة من أكرم سيدات مكة يهفو قلبها إلى سيدنا محمد رسول الله ، تلك هي: برَّة[1] بنت الحارث الهلالية ، وكانت في السادسة والعشرين من عمرها .

مات زوجها (أبو رُهْم بن عبد العزى القرشي) فترمّلت ، فأفضت إلى شقيقتها (أم الفضل) زوجة العباس بالأمر فحمل العباس الخبر لرسول الله صلى الله عليه وسلم قائلاً : إنها وهبت نفسها للنبي ، فأنزل الله فيها : ﴿ وَٱمۡرَأَةً مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا ﴾[2].

فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأسماها (ميمونة) إذ كان زواجه بها في المناسبة الميمونة الغراء التي دخل فيها أم القرى لأول مرة منذ سبع سنين مع المسلمين آمنين .

---

(١) نساء النبي: ص٢١١ .

(٢) سورة الأحزاب: الآية (٥٠) .

ر ـ جويرية بنت الحارث رضي الله عنها :

(سيدة بني المصطلق) كان زواج النبي صلى الله عليه وسلم بها لأغراض سياسية ودينية ، أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم الانتفاع بالمصاهرة واتخاذها وسيلةً لاجتذاب عطف القبائل ...

فكان زواجه صلى الله عليه وسلم من جويرية تقرباً من قومها ، فصار بينهما رباط المصاهرة ، وطمعاً بإسلام قومها . لاغياً في زواجه الجمال وهو ﷺ الذي يقول: «فَاظْفَرْ بِذَاتِ الـدِّينِ تَرِبَـتْ يَـدَاكَ[1]»[2] وذلك بعد أن أُسِرت هي مع والدها (الحارث بن أبي ضرار) الذي جمع الجموع لمحاربة رسول الله في غزوة (بني المصطلق) .

فاستأذنت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخلت وقالت: يا رسول الله أنا بنت الحارث بن أبي ضرار سيد قومه ، وقد أصابني من البلاء ما لم يخفَ عليك ، فوقعت في سهم (ثابت بن قيس) فكاتبته[3] على نفسي فجئت أستعينك على أمري[4] .

فلاذت برسول الله وهي السيدة الحرة الأصيلة ، جاءت تلوذ به لتنجوَ من مهانة السبي وعار الرقّ وهو الذي أذل أهلها ـ مع أنهم هم البادئون بالغزو ـ فرقّ قلبه ﷺ وهي ببابه قَلِقة ولا من ينقذها سواه .

---

(١) دعاء بالفلاح والفوز، وقد يُطلق للتأنيب .

(٢) رواه البخاري ، رقم الحديث : (٤٧٠٠) .

(٣) المكاتَبة: هي عقد بين السيد والعبد لإعادة الحرية نظير دفعه مالاً لسيده.

(٤) نساء النبي: ص: ١٥٦ .

فقال ﷺ لها :

«فهل لك في خير من ذلك» ؟

قالت: وما هو يا رسول الله ؟

فأجاب صلى الله عليه وسلم: «أقضي عنك كتابتك، وأتزوجك»!

فقالت في فرحة غامرة : نعم يا رسول الله .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : «قد فعلت»[1].

فكان من نتائج هذا الزواج السياسي أن أقبل الناس وبأيديهم أسرى قومها ، فأرسلوهم أحراراً وهم يقولون: (أصهار رسول الله)[2] فكانت أعظم النساء بركة على قومها أُعتق بزواجها من الرسول الله صلى الله عليه وسلم أهل مائة بيت من بيوت بني المصطلق . كرمها الرسول صلى الله عليه وسلم بالزواج فنجت من عار الاسترقاق وأسلمت وحسن إسلامها .

* * * *

---

(١) نساء النبي: ص١٥٧، عن ابن إسحاق في السيرة (والطبري) والاستيعاب .

(٢) نساء النبي: ص١٥٧، عن ابن إسحاق والسمط الثمين .

ز ـ صَفيَّة بنت حُيَيّ رضي الله عنها :

(عقيلة بني النَّضير) خرج النبي صلى الله عليه وسلم إلى خيبر لتأديب بني النضير الذين خانوا عهودهم معه أثناء موقعة الخندق .

وفعلاً فُتحت لرسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر ، وكانت السيدة صفية من بين الأسرى.

وقد تزوجت سابقاً مرتين من (سلام بن مشكم)، ثم خلف عليها (كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق) فأعتقها عليه الصلاة والسلام وتزوجها وحَسُنَ إسلامها ...

حتى قالت ورسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه الأخير : (إني والله يا نبي الله لوددت أن الذي بك بي).

* * * *

س ـ ريحانة بنت شمعون رضي الله عنها :

قيل إنها زوجة... وقيل إنها كانت سَرِيّة من سراريه صلى الله عليه وسلم ؛ أي موطوءة له بملك اليمين .

❊ ❊ ❊ ❊

وخلاصة القول : إن النبي عليه الصلاة والسلام لم يخالف ما أمر الله به المسلمين من قصر عدد الزوجات على أربع ، حيث كان زواجه قبل نزول آية التعدد وكان الأمر مباحاً .

وإن طلاقه لإحدى زوجاته يتركها دون زوج ؛ لأنه لا يجوز الزواج بأمهات المؤمنين .

كما أن الدافعَ لزواجه عليه الصلاة والسلام كان تأليفَ قلوب العرب حوله عن طريق المصاهرة ، ولم يكن الباعث ـ كما يتصور أعداء الإسلام وعبيد الفكر الغربي ـ حب النساء والرغبة في الشهوة ولو كان ذلك لتزوج صغيراتٍ أبكاراً .

لقد أحال المستشرقون جوانب الإسلام المنيرة ظلاماً ، ولكنه سيبقى مُخَيِّماً في رؤوسهم ورؤوس من يشايعهم .

ـ لقد أحالوا صدق النبي صلى الله عليه وسلم ، في سلوكه وفي حياته وفي رسالته وفي عموم دعوته إلى كذب ..

ـ وأحالوا رحمة النبي صلى الله عليه وسلم ، ورقة قلبه ، وكثرة شفقته إلى قسوة ، بل جعلوها قسوة بالغة .

ـ وأحالوا زهده عليه الصلاة والسلام ـ عبداً نبياً ـ وتواضعه إلى شهوة جامحة إلى الحكم والسلطان .

ولكنهم نسوا في ذلك ـ وغيره ـ رعاية الحق ، وأمانة التاريخ ، ونَصَفَةَ الحُكْم ، ونزاهة العلم ، بل نسوا أبسط قواعد الذوق والمجاملة والأدب في التهجُّم على منازل الأنبياء ، فما من صفة في نبي إلا وهي في سيدنا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فأين موضوعية وأمانة البحث[1]؟ .

ولكن مهما نفثوا سموم حقدهم فلن يستطيعوا حجب الشفافية الروحية التي تتألق في كيان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا حجب الحقيقة الساطعة ؛ لأن الحق أبلج والباطل لجلج ، والحقائق لا يضرها جهل الجاهلين ، ولا حقد الحاقدين .

على حدّ قول الشاعر :

ما ضرَّ شمسَ الضُّحى في الأُفق ساطعةً ... ألاّ يرى نورها من ليس ذا بصرِ

وما ضرَّ الورودَ وما عليها ... إذا المزكوم لم يشمُم شَذَاها

وهنا قد يتساءل سائل فيقول : لِمَ يشن الغربيون المتعصبون من رجال الدين والاستشراق هذه الحملة القاسية على الإسلام والمسلمين بسبب تعدد الزوجات ويتخذون ذلك دليلاً على اضطهاد الإسلام للمرأة ، واستغلال المسلمين لها في إرضاء شهواتهم ونزواتهم .

---

(١) انظر كتاب (الإسلام في قفص الاتهام) شوقي أبو خليل ص٢٧٤ .

وهل التعدد وليد الدِّين الإسلامي أم قديم .

الجواب : الغربيون في ذلك مكشوفو الهدف ، مفضوحو النية ، متهافتو المنطق ، فالإسلام لم يكن أول من شرع تعدد الزوجات بل كان موجوداً في الأمم القديمة كلها تقريباً عند الأثينيين والصينيين والهنود والبابليين والآشورين والمصريين ولم يكن له عند أكثر الأمم حد محدود .

وقد سمحت شريعة (ليكي) الصينية بتعدد الزوجات إلى (مئة وثلاثين) امرأة ، وكان عند أحد أباطرة الصين نحو من (ثلاثين ألف) امرأة .

والديانه اليهودية كانت تبيح التعدد بدون حد ، وأنبياء التوراة جميعاً بلا استثناء كانت لهم زوجات كثيرات .

وقد جاء في التوراة أن نبي الله سليمان كانت له سبعمائة زوجة من الحرائر ، وثلاثمائة من الجواري ، وكنّ أجمل أهل زمانهن .

وقد كان لداود عليه السلام ـ على زهده وأكله من عمل يده ـ تسع وتسعون امرأة وتمت بزواج امرأة أوريا بعد طلاقها مائة .

ولم يرد في المسيحية نص صريح يمنع التعدد وإنما ورد فيه على سبيل الموعظة أن الله خلق لكل رجل زوجته وهذا لا يفيد على أبعد الاحتمالات إلا الترغيب بأن يقتصر الرجل في الأحوال العادية على زوجة واحدة ، والإسلام يقول مثل هذا القول ونحن لا ننكر .

ولكن أين الدليل على أن زواج الرجل بزوجة ثانية مع بقاء زوجته الأولى في عصمته يعتبر زنًى ويكون العقد باطلاً ؟؟!

ليس في الأناجيل نص على ذلك، بل في بعض رسائل (بولس) ما يفيد أن التعدد جائز فقد قال : (يلزم أن يكون الأُسقفّ زوجاً لزوجة واحدة) ، ففي إلزام الأسقف وحده بذلك دليل على جوازه لغيره .

وقد ثبت تاريخياً أن بين المسيحيين الأقدمين من كانوا يتزوجون أكثر من واحدة.

قال : (وستر مارك) العالم الثقة في تاريخ الزواج: إن تعدد الزوجات باعتراف الكنيسة بقي إلى القرن السابع عشر ، وكان لشرلمان زوجتان وكثير من السراري .

ويقول الأستاذ العقاد : ومن المعلوم أن اقتناء السراري كان مباحاً ، أي في المسيحية على إطلاقه كتعدد الزوجات مع إباحة الرق جملة في البلاد الغربية .

فتعدد الزوجات ليس من صنع الإسلام فحسب ، وإنما هو تشريع قديم عرفته كل الحضارات ، ومع هذا فالإسلام لم يقبل تعدد الزوجات كما عرفته الحضارات الماضية ، بل حدَّه وقيَّده وكان من قبل مطلقاً [١]، وهذه الحقيقة يغفُل عنها كثير من المثقفين .

* * * *

---

(١) مقارنة الأديان: ج ٣ ص ١٩٤ .

أقوال كبار المفكرين والمنصفين الأجانب

في محاسن التعدد

إن عقلاء الإفرنج أدركوا حقيقة هذه المسألة فردوا على ما افتراه بعضهم من قصار النظر ، فمن ذلك ما قاله الكاتب المسيحي الكبير (توماسِ كارلايل)[1] في كتابه : (محمد) ـ ﷺ ـ البطل العظيم : (وما كان محمد أخا شهوات برغم ما اتُّهم به ظلماً وعدواناً وما أشد ما نجور ونخطئ إذا حسبناه رجلاً شهوانياً أو شهويًّا لا همَّ له إلا قضاء مآربه من الملاذ. كلاّ فما أبعد ما كان بينه وبين أيةٍ كانت .

لقد كان زاهداً متقشفاً في مسكنه ومأكله ومشربه وملبسه وسائر أموره وأحواله، وكان طعامه عادةً الخبز والماء وربما تتابعت الشهور ولم توقد بداره نار .

وإنهم ليذكرون ـ ونعم ما يذكرون ـ أنه كان يصلح ويرفو ثوبه بيده فهل بعد ذلك مكرمة ومعجزة ؟ فحبذا محمد من رجل خشن اللباس ، خشن الطعام ، مجتهد في الله ، قائم النهار ، ساهر الليل ، دائباً في نشر دين الله ...إلخ) .

---

(١) ولد في اسكوتلاندا سنة ١٧٩٥ ، وعاش ٨٦ عاماً، وكان لكتابه عن (محمد) البطل العظيم أثر كبير في تصحيح أخطاء كثيرة دأب عليها كُتّاب الغرب .

وهو بهذا يَرُدّ على أولئك الذين يتصوّرون أن محمداً رجل شهوة ونِعَمٍ يرفل في الحرير والدنيا...

وقال الأستاذ غوستاف لوبون : (إن تعدد الزوجات على مثال ما شرعه الإسلام من أفضل الأنظمة ، وأنهضها بأدب الأمة التي تذهب إليه وتعتصم به ، وأوثقها للأسرة عُقَداً ، وأشدّها لآصرتها أزْراً ؛ وسبيله أن تكون المرأة المسلمة أسعدَ حالاً ، وأوجهَ شأناً ، وأحق باحترام الرجل من أختها الغربية) .

وقد حبَّذَ (شوبنهور) الفيلسوف الألماني تعدد الزوجات فيهم[1] : (أما آن لنا أن نَعُدّ بعد ذلك تعددَ الزوجات حسنةً حقيقة لنوع النساء بأسره ؟) .

قال بعد أن شرح مضارّ الاقتصار على زوجة واحدة : (في مدينة لوندرة وحدها ثمانون ألف بنت عمومية ـ هذا في زمانه ـ سُفك دم شرفهن على مذبح الزواج ضحيةَ الاقتصار على زوجة واحدة ونتيجةَ تعنّت السيدة الأوربية وما تدعيه لنفسها من الأباطيل).

وقال : (وإذا رجعنا إلى أصول الأشياء وحقائقها لا نجد شيئاً يمنع الرجل من التزوج بثانية إذا أصيبت امرأتُه بمرض مزمن تألَمُ منه ، أو كانت عقيمة أو أصبحت على توالي السنين عجوزاً) .

---

(١) راجع الجزء الثاني من كتاب المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها . تأليف الأستاذ عبد الله عفيفي ص ٦٩و٧١ .

إن الرجل المتزوج في الأمم المسيحية التي لا تبيح تعدد الزوجات لا يقتصر في الحقيقة على امرأة واحدة ، بل نراه يتخذ كثيراً من الخليلات ويبيح لنفسه التمتع بمن أحب منهن .

لكنه إذا أبدى رأيه ، أو كتب في موضوع الزواج حمل على تعدد الزوجات ورمى المسلمين بالهمجية والتعدي على حقوق الزوجة وزعم أنهم شهوانيون .

وقد ذكرت امرأة كندي رئيس أمريكا الأسبق أنه كان لزوجها بين مائتين وثلاثمائة صديقة ، والصعاليك في العالم الغربي لا الملوك يستطيعون السطو على مئات الأعراض . والذي يستحق الدهشة أن يدور الرجل بين جيش من العشيقات دون حرج ، فإذا دار بين بضع زوجات ، داخل سياج من الأخلاق المحكَمة وُضع في قفص الاتهام ...!!

ومن زعماء الغرب الكبار وساستهم المشهورين رجل له في ميدان الفاحشة قدم راسخة ... مع استفاضة خبثه ونسبة الخنا إليه فإن هذا لم يخدش شيئاً من عظمته .

كتب الأستاذ أنيس منصور يقول: لم يكن غريباً أن يصدر في فرنسا كتاب عن نمر السياسة الفرنسية جورج كلمنصو (١٨٤١ ـ ١٩٢٩م) فهذا الرجل خاض معارك سياسية مخيفة واستطاع أن يتغلب على المجتمع ، وكان قادراً على أن يتحدث إلى عشرين شخصاً في عشرين موضوعاً في وقت واحد .

ولم يكن أحد يتصور أن هذا الرجل كانت له ثمانمائة عشيقة واستولد منهن أربعين ابناً غيرَ شرعيين ، تُرى كم الشرعيون الذين نَسَلَهُم هذا الذئب؟!!...

يقول أنيس منصور: لكنه عندما علم أن زوجته الأمريكية خانته ، نهض عند منتصف الليل وفتح لها الباب لتهبط إلى الشارع بقميص النوم . ونعجب لماذا حرّم الرجل على غيره ما استباحه لنفسه[1] .

يقول الصحافي المعلّق : كلمنصو ـ مثل كل الذئاب البشرية ـ من أكثر الناس احتقاراً للمرأة . ولم يقل أحدٌ في المرأة أسوأ ولا أبشع مما قاله هو ، سواء على فراش اللهو أو على فراش المرض ، ومع ذلك فإن مساعد وزير الدفاع الفرنسي أصدر كتاباً عنه ، وقادةُ العالم الغربي يعدّونه من قممهم الرفيعة ؛ لماذا؟ لأنه زنى ولم يتزوج!! .

إن الزنى في رأي هؤلاء شيء يسير ، أما التعدد فمنقصة تهوي بصاحبها ولو كان من العباقرة .

هذا هو التقليد الذي أرسته الصليبية وباركته وتريد إشاعته بيننا[2] لذلك قال الأستاذ لوبون عن نظام تفرد الزوجة بين الأوربيين أنه مشوب بالكذب والنفاق ...

---

(١) يقول العالم الجليل الشيخ محمد أبو زهرة: (تعدد الحلائل خير من تعدد الخلائل ... والخيانة الزوجية في أوربة مقابلة التعدد في الإسلام، ولننتظر كثرة الخيانة الزوجية التي لا ضابط لها إن منعنا التعدد أو قيدناه) مجلة العربي: العدد ٣١، ص٨٦/٨٧ .

(٢) الأهرام ١٣ / ١٩٧٩/٩م .

وصرح بذلك أيضاً شونبهور فقال: (أين الناس ممن يقتصر على زوجة واحدة ؟ بل لا ننكر أننا في بعض أيامنا أو في معظمها كلنا أو جُلنا نتخذ كثيراً من النساء) .

وفي عام ١٩٤٩ تقدم أهالي (بون) عاصمة ألمانيا الاتحادية بطلب إلى السلطات المختلفة يطلبون فيه أن ينص الدستور الألماني على إباحة تعدد الزوجات .

وقبل فترة قليلة حدث في كنده أيضاً وفي إيرلنده حصراً طلبُ إباحة الطلاق ولكن الكنيسة الكاثوليكية وقفت ضد هذا الطلب .

وقامت في بلاد أوربا وبخاصة في ألمانيا جمعيات نسائية تطالب بالسماح بتعدد الزوجات .

وهذا الفيلسوف الإنجليزي **هربرت سبنسر** يقرّ في كتابه أصول علم الاجتماع ـ برغم مخالفته لفكرة تعدد الزوجات ـ بضرورتها للأمة التي يفنى رجالها في الحروب) .

وفي إنكلترا كتبت الكثيرات من النساء الإنكليزيات في الصحف السيارة وغيرها المقالات الطوال يَدْعِينَ فيها للأخذ بنظام التعدد الإسلامي ، بل إن طائفة من رجال الدين ومن رجال البحث قررت الدفاع عن نظام تعدد الزوجات والمطالبة به .

فقد ذكر الأستاذ الخطيب المكي في تفسيره المشهور (أن وكالة رويتر نقلت منذ سنوات قليلة خبراً من لندن يقول: إن أربعة من كبار القسيسين بزعامة أسقفّ كانتربري ـ وهو من أكبر رجال الكنيسة

البروتستانتية ـ قد اجتمعوا مع بعض الباحثين الاجتماعيين في لندن وأصدروا قراراً دافعوا فيه عن نظام تعدد الزوجات ، وطالبوا بإباحته للمسيحيين من أجل المصلحة العامة ومصلحة النساء أنفسهن).

وفي ألمانيا صرح الأستاذ فون اهرمسلس (بأن قاعدة تعدد الزوجات لازمة أو ضرورة للسلائل الآرية) .

وفي فرنسا وغيرها صرح الكثير من الفلاسفة والمصلحين بهذا مما لا يتسع المقام لسرده والإطالة به ، وحسبنا من أقاويلهم هذه كلمةٌ للفيلسوف الفرنسي غوستاف لوبون شرح فيها وفنَّد مزاعم بني قومه التي يتشدّق بها بعض أبنائنا .

قال لوبون في كتابه حضارة العرب[1] : (ولا نذكر نظاماً أنحى الأوربّيون عليه باللائمة كمبدأ تعدد الزوجات ، كما أننا لا نذكر نظاماً أخطأ الأوروبيون في إدراكه كذلك المبدأ ، فيرى أكثر مؤرخي أوربة اتزاناً أن مبدأ تعدد الزوجات حجرُ الزاوية في الإسلام ، وأنه سبب انتشار القرآن ، وأنه علة انحطاط الشرقيين ... ذلك وصف مخالف للحق ، وأرجو أن يُثبت عند القارئ الذي يقرأ هذا الفصل بعد أن يطرح عنه أوهامه الأوربية جانباً أن مبدأ تعدد الزوجات الشرقي نظام طيب يرفع المستوى الأخلاقي في الأمم التي تقوم به ويزيد الأسرة ارتباطاً ، ويمنح المرأة احتراماً وسعادة لا تراهما في أوربة ...) .

---

(١) حضارة العرب ص (٤٨٢ـ٤٨٤) .

وقد صرح بعض علماء أوربا أن تعدد الزوجات من جملة أسباب انتشار الإسلام وكثرة المسلمين في إفريقية وغيرها ؛ لكن الأجانب يبالغون في وصف مفاسد التعدد وكذا المتفرنجون كدأب الناس في التسليم للأمم القوية والتقليد لها[1] لأن حجة القوي دائماً هي الأقوى .

قارئي العزيز : لقد أعجبني من قراءاتي في هذا الموضوع ، ما ذكره المرحوم الدكتور مصطفى السباعي في محاورة دارت بينه وبين الأب مدير مدرسة الآباء اليسوعيين حين زارها في دبلن (إيرلند) سنة ١٩٥٦ يقول[2]: فكان ما قلته: لماذا تحملون على الإسلام ونبيه وبخاصة في كتبكم المدرسية مما لا يصح أن يقال في مثل هذا العصر الذي تعارفت فيه الشعوب والتقت الثقافات ؟

فأجابني: نحن الغربيين لا نستطيع أن نحترم رجلاً تزوج تسع نساء! قلت له: هل تحترمون نبي الله داود ونبيه سليمان ؟ قال: نعم... وهما عندنا من أنبياء التوراة .

قلت له: إن نبيّ الله داود كان له تسعٌ وتسعون زوجة أكملهن بمائة بالزواج من زوجة قائد جيشه أوريا ، كما هو معلوم[3].

---

(١) انظر هذا التفصيل في كتاب «المرأة بين الفقه والقانون» للمرحوم الدكتور مصطفى السباعي .

(٢) ص٩٦ من كتابه (المرأة بين الفقه والقانون) الطبعة الثالثة .

(٣) طبعاً بعد موته في معركة خاضها .

ونبي الله سليمان كانت له ـ كما جاء في التوراة ـ سبعمائة من الحرائر وثلاثمائة من الجواري فلِمَ يستحق احترامكم من يتزوج بألف امرأة ولا يستحق من يتزوج تسعاً ؟!!

لماذا لا يستحق احترامكم من تزوج تسعاً ؛ ثمانيةٌ منهن ثيبات وأمهات وبعضهن عجائز ، والتاسعة هي الفتاة البكر الوحيدة التي تزوجها الرسول ﷺ طيلة عمره؟

فسكت قليلاً. وقال: لقد أخطأت التعبير ، أنا أقصد أننا نحن الغربيين لا نستسيغ الزواج بأكثرَ من واحدة ويبدو لنا من يعدّد غريب الأطوار أو عارم الشهوة !

قلت: فما تقولون في داود وسليمان عليهما السلام وبقية أنبياء بني إسرائيل الذين كانوا جميعاً معدّدين للزوجات بدءاً من إبراهيم عليه السلام ؟

فسكت ولم يُحِرْ جواباً .

ويمكن لأي مسلم صادفه مثل هذا الأب أن يردّ سريعاً بهذا الرد ليسكت أي متهجم على رسول الإسلام ﷺ .

وقيل[1]: إن بابا الفاتيكان خطب في قطر أفريقي يندد بتعدد الزوجات ويصفه بأقبح الأوصاف ، وتساءلتُ: ماذا قال عن فوضى الشهوات الجنسية في أوربا، وعن قدرة شخص واحد على الفتك بعشرات الأعراض ؟ فلم أسمعه قال شيئاً!

---

(١) انظر كتاب (الحق المرّ) للإمام محمد الغزالي .

إن البعد عن الدِّين الحق لم يثمر إلا البلاء ومع ذلك فالعـالَم في محنة عقليـة يذّكرنا بقول الشاعر :

يقضى على المرء في أيام محنتهِ　　　حتى يَرى حَسَناً ما ليس بالحَسَنِ !

ولله درّ العالم الفاضل (تومس) فإنه رأى الداء ووصف له الـدواء الكاملَ الشفاء، وهو (الإباحة للرجل أن يتـزوج بـأكثر مـن واحـدة، وبهذه الواسطة يزول البلاء لا محالة ، وتصبح بناتنا ربَّاتِ بيوت.

فالبلاء كل البلاء في إجبار الرجل الأوربي علـى الاكتفـاء بـامرأة واحدة).

(إن هذا التحديد بواحدة هو الذي جعل بناتنا شوارد ... ولا بـد من تفاقم الشر إذا لم يُبَح للرجل التزوجُ بأكثر من واحدة).

أيُّ ظن يحيط بعـدد الرجـال المتـزوجين الـذين لهـم أولاد غـير شرعيين ، أصبحوا كَلاًّ وعاراً وعالـة علـى المجتمـع فلـو كـان تعـدد الزوجات مباحاً لما حاق بأولئك الأولاد وأمهاتهم ، مـا هـم فيـه مـن العذاب الهُون ، ولسلمَ عِرضُهن وعرض أولادهن .

إن تعدد الزوجات يجعل كل امرأة ربَّةَ بيت وأمَّ أولاد شرعيين .

وفي عـام ١٩٤٨ انعقـد مـؤتمر الشـباب العـالمي في (ميـونيخ) بألمانيا... وكان مما درسه مشكلةُ ازدياد عدد النساء في ألمانيا أضـعافاً مضاعفةً عن عدد الرجال ..

وكان في اللجنة التي بحثت هذه المشكلة أعضاء مسلمون فقدّموا اقتراحاً بالعلاج وهو إباحة تعدد الزوجات ، فقوبل بشيء من الدهشـة

والاشمئزاز في بادئ الأمر ، ولكن بعد بحث المشكلة أقرت توصية المؤتمر بالمطالبة بتعدد الزوجات .

ويقول أحد أقطاب الغرب الذين اعتنقوا الإسلام وهو **روجيه غارودي** في إحدى تصريحاته : (إن أوروبا مريضة وأنتم أصحاء ـ ويقصد التشريع الإسلامي ـ ، ومن الخطأ أن يقلّد الصحيح المريض ...!) .

فصار إنسان اليوم يرى الأمور معكوسة ، والأوضاع مقلوبة لأن ميزانه قد اختلّ ؛ إذ يرى المعروف منكراً والمنكر معروفاً على حد قول الشاعر :

ومن يكُ ذا فمٍ مُرٍّ مريضٍ　　　يجد مُرّاً به الماءَ الزلالا



ودونك عزيزي القارئ :

إحصائيةً حديثة تبيّن واقع العالم الإباحي المريض ، والفظائع التي تتفاقم وتتعاظم يوماً بعد يوم نتيجةَ شيوع الفاحشة والانغماس في الشهوات والرذائل في الحضارة الغربية المادية التعيسة وقوانينها الجائرة :

(١٢) **مليون** من الأطفال بلا أب (غير شرعيين) في أمريكا[١].

(٢٥٠) **مليون** يصابون بالسيلان (مرض جنسي معروف) سنوياً في العالم..

(٥٠) **مليون** يصابون بالزهري (مرض جنسي معروف) سنوياً في العالم ....

(٨) **ملايين** امرأة بالغة غير متزوجة في بريطانيا ، تسعون بالمائة منهن يمارسن الجنس ......

(٧٥) % من الأزواج يخونون زوجاتهم في أوربا............

(١٧) **مليون** شاذون جنسياً في الولايات المتحدة الأمريكية.

(١٣) % أطفال غير شرعيين في إنكلترا .

---

(١) هذه الإحصاءات كانت في الخمسينات. وهي في تزايد مستمر .

(٥و٤) ملايين أرملة في ألمانيا الاتحادية .

أسرة من كل عشر أسر أمريكية تمارس نكاح المحارم[١] .

والحقيقة أكثر من ذلك حيث لا يصل القضاءَ أو دوائرَ الصحة إلا حالة واحدة من بين عشر حالات .

والأشد من هذا والأنكى ما ظهر مؤخراً في العالم الغربي بصورة خاصة ، وبعض دول العالم كالهند وأفريقية وقسم من البلاد العربية بصفة عامة ما سمي بـ (الإيدز) ؛ أي فقدان أو نقص المناعة المكتسَبة، وهو مرض خطير مُعْدٍ وينذر بشر مستطير تبعاً لتقارير المنظمات الصحية العالمية المهتمة بهذا الشأن.

وقد مات أكثر من نصف المصابين ، منذ عام/ ١٩٧٩/ .

وأفادت التقارير الواردة من تلك الجهات وما تبثه الإذاعات في الآونة الأخيرة أن عدد المصابين بهذا الداء الخبيث وصل إلى أربعين مليوناً ، وهو في تصاعد مخيف[٢] .

---

(١) ذكرت (التايم) ديسمبر ١٩٨٨أن ذلك النوع القذر من الممارسة الجنسية (نكاح المحارم) قد زاد حتى أصبح يمارَس في عائلة من كل خمس عائلات أمريكية

(٢) تدل آخر الإحصاءات أن عدد المصابين في العالم (٤٦) مليوناً، وأكبر دولة في عدد المصابين: (أمريكا) حيث تنفق سنوياً (٤٠) مليون دولار للدعاية لمعالجة الإيدز، وبلغ عدد الوَفَيات فيها عام ١٩٨١(٢٠) مليوناً.

وهذا العدد المخيف لا بد أن يزداد يوماً بعد يوم ما لم يعُد المصلحون وعلماء الاجتماع والمسؤولون إلى تلك التعاليم التي كانت سبباً في سعادة الإنسان وراحته ، عليهم أن يسخّروا وسائل إعلامهم المرئية والمقروءة والمسموعة للعودة بالإنسان إلى ربّه وتبصيره بنفسه ليصحوَ من عقليته ويستيقظ من سُباته ويدرك المهمة التي خلقه الله من أجلها وهي الخلافة في الأرض ، قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾[1].

إن نظرية تفرد الزوجة تنطوي تحتها سيئات متعددة ظهرت على الأخص في ثلاث نتائج واقعية شديدة الخطر جسيمة البلاء ، تلك هي: الدعارة ، والعوانس من النساء ، والأبناء غير الشرعيين .



(١) سورة البقرة، الآية: (٣٠) .

شبهات حول التعدُّد والرد عليها

هناك شبهات يثيرها بعضٌ ممن تأثروا بالثقافة الأجنبية فكراً وتنشئة وأنماطَ معيشة ، فأعجبوا بها وداروا في فلكها فاصطنعوا مطاعن على نظام تعدد الزوجات .

ونحن نورد في هذا الفصل خلاصة عنها مع ردودها والإجابة عنها ؛ إذ هي استيضاحات واستفهامات وشبهات دارت في خلدهم ، وقد نشأت هذه الشبهات لجهلهم بهذا النظام وبُعدهم عن المفهوم الصحيح للإسلام وتشريعه ، والإنسان عدوٌّ لما يجهل .

الشبهة الأولى :

الغريب أن بعض الجُرآء على الله جل وعلا يقتحمون غمرة الهلاك ، فيستدلون غلطاً بآية على نقيض ما تفيد ، ويقولون : إن الله تعالى قال : ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً ﴾ وقال تعالى : ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓا۟ أَن تَعْدِلُوا۟ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا۟ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ﴾[1] إذن فالتعدد غير جائز لأنه معلق بالعدل والعدل منفي .

---

(١) سورة النساء، الآية: (٣).

وكلامهم هذا يدل على جهل واسع منهم في التفسير لاسيما المأثور ، ويدلُّ قبلاً وبعداً على عدم عرفان بالله تعالى ، إذ نسبوا إليه التناقض في كلامه وهو منزه عنه وهو القائل : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا ﴾[1] فكلام الله سبحانه وتعالى غير متناقص وعقولهم هي المتناقضة .

العدل في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً ﴾ هو العدل الواجب في القسم بين النساء من طعام وكسوة ومنزل ومبيت وإقبال ، لا في الجماع وإن كان مستحباً أيضاً لابتنائه على النشاط وقد لا يكون متوفراً دائماً . نعم يجب عليه أحياناً إعفافاً للزوجة عن الزنى .

والعدل في قوله تعالى : ﴿ وَلَن تَسْتَطِيعُوٓا۟ أَن تَعْدِلُوا۟ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْۖ فَلَا تَمِيلُوا۟ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِۚ ﴾ هو: العدل في الحب والميل القلبي الخارجَيْن عن الاختيار، ونفي استطاعة العدل في الحب الخارج عن اختيار المرء لا يلزم منه نفي استطاعة العدل في القسم الداخل في اختياره .

يدل آخر الآية: ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓا۟ ...... كَٱلْمُعَلَّقَةِۚ﴾ والمعلقة هي: المتزوجة بزوج لا يُحسن عشرتها ، إذن فالميل النفسي هو الحب ، وهذا غير ممكن العدل فيه لأنه لا سلطان للإنسان على قلبه. إذن فالمقصود بالعدل في الآية هو الحب القلبي.

---

(١) سورة النساء، الآية: (٨٢).

ويدل عليه أيضاً بيان من أُنزل عليه القرآن الكريم وهو سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم أعلم الناس بتفسير كلام الله تعالى ، حيث كان يقسم بين نسائه فيعدل في كل ما يمكن العدل فيه ويقول : «**اللَّهُمَّ هَذَا قَسْمِي فِيمَا أَمْلِكُ**[١] ، **فَلا تَلُمْنِي فِيمَا تَمْلِكُ وَلا أَمْلِكُ**» قَالَ أَبُو دَاوُد : يَعْنِي الْقَلْبَ[٢] .

أي المحبة ؛ لأن عائشة رضي الله عنها كانت أحب إليه من سائر أزواجه بعد خديجة لعلمها وذكائها رضي الله عنهن .

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول أيضاً : (اللهم أما قلبي فلا أملك ، وأما سوى ذلك فأرجو أن أعدل) .

وصفوة القول: إن التعدد جائز بشرط العدل [٣] .

---

(١) المقصود من قوله صلى الله عليه وسلم: «فيما أملك» القسم الظاهري و: «فيما لا يملك» قلبه؛ إذ لا يملك الإنسان السيطرة على قلبه وقد جبلت القلوب على حب من أحسن إليها وبغض من أساء إليها .

(٢) رواه أَبُو دَاوُد ، رقم الحديث: (١٨٢٢) .

(٣) فمن لم يتأكد من قدرته على العدل لم يجز له شرعاً أن يتزوج بأكثر من واحدة ، ولو تزوج كان العقد صحيحاً بالإجماع ولكنه يكون آثما.

واشترط الإمام الشافعي القدرة على الإنفاق لمن أراد التعدد ، وهذا الاشتراط للإمام الشافعي مبني على فهم خاص للآية: ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا ﴾. وهذا الفهم تؤيده قواعد اللغة العربية . =

الشبهة الثانية[1] :

ومن الشعارات المزيفة التي يرفعها أعداء الإسلام وأبواق الغزو الفكري شعار (تحرير المرأة) .

والسؤال: التحرير من ماذا ؟ التحرر من بيتها ، والتحرر من زيّها ، والتحرر من أخلاقها ، والتحرر من عقيدتها .

ويعني التحرر من بيتها : أن تنطلق إلى المعمل للعمل ، أو للنادي لترقص ، أو للصالة لتغني ، أو للمخادعة لتحبّ.

ويعني التحرر من زيّها: أن تكشف ما أمر الله به أن يُستر ، وتهتك ما حض الإسلام أن يصان... لتَظهر في المجتمع متبرجة بل شبه عارية ، ولا يخفى ما في ظهورها بهذا المظهر من فتنة للناس ، ومن إغراء للشباب ، ومن فساد وانحلال للمجتمع !!

ويعني التحرير من أخلاقها : أن تكون حرباً على المبادئ الخلقية التي جاءت بها شريعة الإسلام ...فلا تتحلى بحياء ، ولا تتأدب مع كبير ، ولا تتقبّل نصح ولي ، ولا تتقيد بعُرفٍ ولا دين !!

= ولقد قرأت حول هذا كلاماً للشيخ محمد الغزالي رحمه الله تعالى في كتابه الممتع: (فن الذكر والدعاء عند خاتم الأنبياء)، ما أحب أن أشوهه بأي تلخيص أو اختصار بل أنقله بنصه الذي يحمل معه عقلانيته وروحه: (أما الإسلام فقد أباح الزواج ويسّره وجعله من القربات إلى الله وعندما يطمئن إلى الضمانات الخلقية عند الرجل يبيح له التعدد وإلا منعه).

(١) انظر هذه الشبهة في كتاب (ماذا عن المرأة) للدكتور نور الدين عتر .

ويعني التحرر من عقيدتها : أن تعلن ثورتها على المبادئ الإسلامية التي تدعو المرأة المسلمة على الالتزام بها ، والعمل بموجبها ...

كأن تثور على مبدأ الحجاب ، وتثور على نظام تعدد الزوجات ، وتثور على نظام الإرث ، وتثور على مبدأ القِوامة التي أولاها الإسلام للرجل ... إلى غير ذلك من هذه الثورات الغاضبة التي بواحدة منها تخرج من ربقة العقيدة الربانية ، وتنسلخ من ملة الإسلام. فضلاً عما إذا كانت مجتمعةً يأخذ بعضها برقاب بعض. فإن الرِّدة والخروج من الملة تكون أقوى وأظهر !!



عزيزي القارئ: هكذا يريد أعداء الإسلام من فكرة تحرر المرأة لا حباً فيها بل لتكون أداة هدم للمجتمع الإسلامي ومعولاً يهدم القيم الأخلاقية في بنيان المجتمع الإسلامي ، وهـذا ما يريده ويخطط له اليهود في بروتوكلاتهم .

فالجهود الصهيونية كلها متضافرة على إفساد المجتمعات الإسلامية عن طريق الخمر والجنس ، والمسرح ، والمجلات ، وترويج القصص والمسرحيات اللا أخلاقية، ورفع شعارات تحرر المرأة ومساواتها بالرجل ، وثورتها على الدين والعُرف[1].

ـ وهنا قد يرد سؤال : يا تُرى هل المرأة الأوروبية المتحررة اليوم هي أسعد حالاً مما كانت عليه بالأمس ؟

للإجابة عن هذا السؤال نقرأ هـذا الخبر الـذي نشرته جريدة الشعب الأردنية الصادرة يوم الاثنين الموافق ٢٦ /تشرين الأول/ ١٩٨٧م ، عن مشكلات المرأة الألمانية المعاصرة، نقلته عن بون عاصمة ألمانية الاتحادية بعنوان (٤٠) % من النساء يُضربن بقسوة والمساواة على الورق فقط ، على الرغم من كل القوانين التي تنص على المساواة بين الرجل والمرأة في التعليم والعمل والأجر والتأهيل المهني.. إلخ .

---

(١) انظر كتاب (الشباب المسلم في مواجهة التحديات) للدكتور عبد الله ناصح علوان .

فإن المرأة الألمانية ما زالت تعاني الكثير من الـويلات والمظـالم التي تأخذ أشكالاً مختلفة من التمييز في حق التعليم والعمـل والأجـر والمشكلات الاجتماعية كالضرب والاغتصاب .. إلخ، كلها نابعـة في الأصل من مفهوم حق الرجل في ملكية المرأة التي يتزوجها والـذي لم يتم التخلي عنه بالرغم من التقدم الاقتصادي والـتقني والثقـافي الـذي حققه مجتمع ألمانيا بعـد الحـرب حـتى فـرض الواقـع علـى الحركـة النسائية التصديَ لأشكال الاضطهاد المتعددة التي تعاني منها الـمرأة.

فأين هذا مـن نظـام الإسـلام وواقعيـة تشـريعه وجعلـه واجـبَ الاتباع والتطبيق .

ومما يزيد هذا التشريع فخراً وتيهـاً فعـلُ كـل ذلـك دون مطالبـة من المرأة أو قيام ثورات ومظاهرات لتحريرهـا كمـا هـو المشـاهد في البلاد الأوربية .

وتحت عنوان (امنعوا الاختلاط ... وقيدوا حرية المـرأة) نشـرت صحيفة (الجمهورية) بالقاهرة مقالاً لصحفية أمريكية تدعى (هيلسـيان ستانسبري)، قالت هـذه الكاتبـة الأمريكيـة بعـد أن مكثـت شـهراً في الجمهورية العربية ما نصه: (إن المجتمع العربي مجتمع كامـل وسـليم في حدود المعقول . وهذا المجتمع يختلـف عـن المجتمـع الأوروبي والأمريكي ، فعندكم تقاليد موروثة تحتّم تقييد المرأة ، وتحتم احترام الأب والأم ، وتحتم أكثر من ذلك (عدم الإباحية الغربية) الـتي تهـدّد اليوم المجتمع والأسرة في أوربا وأمريكا .

إن القيود التي يفرضها المجتمع العربي على الفتاة صالحة ونافعة ، لهذا أنصح بأن تتمسكوا بتقاليدكم وأخلاقكم ، وامنعوا الاختلاط ، وقيّدوا حرية الفتاة. بل ارجعوا إلى عصر الحجاب ، فهذا خير لكم من إباحيةِ وانطلاقِ ومجونِ أوربا وأمريكا .

امنعوا الاختلاط فقد عانينا منه في أمريكا الكثير ، لقد أصبح المجتمع الأمريكي مجتمعاً معقداً، مليئاً بكل صور الإباحية والخلاعة ، وإن ضحايا الاختلاط والحرية قبل سن العشرين يملؤون السجون والأرصفة ، والبارات ، والبيوت السرية .

إن الحرية التي أعطيناها لفتياتنا وأبنائنا الصغار ، قد جعلت منهم عصابات أحداث، وعصاباث (جيمس دين) ، وعصابات للمخدرات والرقيق .

إن الاختلاط والإباحية والحرية في المجتمع الأوربي والأمريكي، هدّد الأسرة، وزلزل القيم والأخلاق ، فالفتاة الصغيرة ـ تحت سن العشرين ـ في المجتمع الحديث تخالط الشباب وترقص وتشرب الخمر ، وتتعاطى المخدرات باسم المدنية والحرية والإباحية ...

وهي تلهو وتعاشر من تشاء تحت سمع عائلتها وبصرها، بل وتتحدّى والديها ومدّرستَها والمشرفين عليها ... تتحداهم باسم الحرية والاختلاط ، تتحداهم باسم الإباحية والانطلاق ، تتزوج في دقائق ، وتطلّق بعد ساعات ، ولا يكلفها أكثرَ من إمضاءِ وعشرين قرشاً وعريس ليلة)[١] .

---

(١) جريدة الجمهورية القاهرية /٩/ يونيو ١٩٦٢م .

أقول هذا رأي الكاتبة الأمريكية ، والفضل ما شهدت به الأعداء.. وهذه شهادة من امرأة من بنات جنسها، وهي الزعيمة العالمية (أنى بيزانت) .

إذ تقول : (متى وزنّا الأمور بقسطاس العدل المستقيم ظهر لنا أن تعدد الزوجات في الإسلام يحفظ ويحمي، وأنه أرجح وزناً من البِغاء الغربي الذي يسمح بأن يتخذ الرجل امرأة لمحض إشباع شهواته ثم يقذف بها إلى الشارع متى قضى منها وطره)[1].

وفي استفتاء جرى في الصحافة الأمريكية نشرت بعض فقراته (صوت الإسلام العدد ٩٧ ، ص١٢) رأيَ بعض الفتيات في تعدد الزوجات ، قالت واحدة : تعدد الزوجات في رابعة النهار في رعاية الله ، خير من الخليلات في سواد الليل وفي رعاية الشيطان .

وصدق الله جل وعلا القائل : ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾[2].

* * * *

(١) توجيهات إسلامية . محمد زينو ١٥ ـ ١٦.

(٢) سورة المائدة، الآية: (٥٠).

الشبهة الثالثة :

تعدد الزوجات سببٌ بزعمهم للخصام والشقاق بين الرجل وبين زوجاته، وبينه وبين أولاده، وهذا يؤدي إلى فساد الأولاد، وينشئهم على مساوئ الأخلاق وإيجاد النزاع والخلافات التي لا نهاية لها..؟

الرد : إن التباغض الذي يقع بين الزوجات يُرى كثيراً بين الزوجة الواحدة وأحمائها ، كما أن الخصام يقع كثيراً بين الأخوة الأشقاء . فهل يقول عاقل بمنع الزاوج من أجل الحضام .

ثم إن أكثر أسباب الخلاف إنما تنشأ من تفاوت ميزان العدالة في المعاملة والعطاء بين الزوجات والأولاد، فلو أن الزوج عاملهن وإياهم معاملة واحدة في العطاء والنفقة لم يكن ليثور خلاف يذكر .

أمّا ما في نفوسهن من غيرة فهو أمر طبيعي وفطري لا يمكن سلامة النفوس منها ، فمقاصد التعدد في نظر المشرع الحكيم تسمو كثيراً عما يقع من الكيد والتباغض أثراً لهذه الغيرة الفطرية ولا تمنع من التعدد لما في تعددهن من خير كثير يربو على هذه الغيرة .

* * * *

الشبهة الرابعة :

تعدد الزوجات يخلُّ بكرامة المرأة ولا تحس أنها موفورة الكرامة ما دامت ترى غيرها يشاركها قلب زوجها وحبه وحنانه .

ثم إن الزوجة ترغب في أن يكون زوجها لها وحدها كما أن للزوج الحق في أن تكون زوجته له وحده دون سواه ...!؟

الرد : إن الله عز وجل إذ شرع تعدد الزوجات أحكم شرعته بما يزيح عنها كل عيب وتعدٍّ .

وإن الشريعة لم تجعل نظام التعدد فرضاً لازماً على الرجل ولا أوجب على المرأة وأهلها أن يقبلوا الزواج من رجل ذي زوجة ، فلولا أن المرأة وأهلها يرون في هذا الزواج منفعة ومصلحة محققة لما أقدموا عليه ولما قبلوا به إطلاقاً .. فأين هذا الضرر المزعوم ؟ وهل يقول عاقل إن انتقال المرأة من العزوبة ومشقاتها واحتمالات الانزلاقات إلى حصانة الزوجية ضرر وشر ..؟

ثم إن الشريعة أوجبت على الرجل أن ينفق على جميع زوجاته . وأن يعاملهن بالقسمة العادلة السوية والمعاملة الحسنة والأخلاق الفاضلة، ويتوعد النبي ﷺ من يخل بهذا فيقول: «مَنْ كَانَتْ لَهُ امْرَأَتَانِ يَمِيلُ مَعَ إحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَحَدُ شِقَّيْهِ سَاقِطٌ»[1] وذلك يشعرها بمكانة لا تحس أن غيرها تحلها عند الزوج .

---

(١) رواه أصحاب السنن وأحمد وابن حبّان من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وقال الترمذي: (فلم يعدل بينهما) .

ولو فرضنا تحقق الضرر ـ وهو مستبعد جداً إذا روعيت الشروط التي شرطها الشرع للتعدد ـ فمن حق الزوجة المتضررة من وجهة نظرها أن ترفع أمرها إلى القضاء وتطلب الطلاق وفقاً لما ذهب إليه المالكية وعملت به الأحوال الشخصية . كما ذهب قسم من الفقهاء إلى أن للزوجة أن تشترط على زوجها عند العقد عدم الزواج عليها ويلزم الزوج الوفاء به . وهو مذهب الحنابلة إذ قالوا : إن الشرط الصحيح هو ما كان فيه منفعة لأحد العاقدين ما لم يكن مخلاً بالمقصود الأصلي من العقد أولاً كاشتراط المرأة ألا يتزوج عليها وألا يخرجها من بلدها ، واشتراطه أن تكون عالمة أو بكراً وما شاكل ذلك من الصفات التي يُرْغَب في المرأة من أجلها .

وحكم هذا الشرط أنه يجب الوفاء به[1] ، فإن لم يوفِ به مَن التزم ثبت الخيار لشارطه لأنه ما رضي بالعقد إلا على أساس الوفاء بالشرط ، فإذا لم يتحقق فات رضاه بالعقد ولا زواج مع عدم الرضا ابتداءً أو بقاءً[2] ، ولا شك أن الزوج الذي تمتع بخلق رفيع وخشية من الله عز وجل ومراقبة له في السر والعلن فحزم أمره على أداء ما وجب عليه يستقيم به أمر الأسرة ويحل به الوفاق والوئام بين الزوجات والأولاد . كما أن التعدد لهؤلاء .... ربح للمجتمع إذ يزوّد الأمة بأبناءٍ يرثون تلك الصفات الممتازة .

---

(١) خلافاً للجمهور .

(٢) انظر : أحكام الأسرة . محمد مصطفى الشلبي .

أما الذي يتزوج الثانية والثالثة تبعاً لهواه دون أن يتوفر فيه الشرط أو لمجرد إزعاج زوجته والإضرار بها فإنه آثم لعدم صونه لحقوق الزوجة الأولى ، وما لمثل هذا شُرِع التعدد [1].

وليست الشريعة الإسلامية مسؤولةً عن تبعات مخالفة هذا الزوج وأمثاله وانحرافه . فالشريعة الإسلامية واضحة في هذا المجال وهي حجة عليه وعلى كل من يسيء إلى نظامه العادل الرفيع .



(١) تعدد الزوجات في القطر العربي السوري: ٢ بالألف حسب إحصاء (١٩١٧) وهذه النسبة ضئيلة جداً. ومعظم من عدّد فيها له عذر مقبول أو طلب له ما يبرره. وليس كل من يُطلّق طلاقة محسوب على الإسلام .
فمن الذين يطلّقون أناسٌ لا يعترفون على الإسلام وأحكامه إلا بما يناسب هواهم، ولو اتبعوا أحكامه سلوكاً في حياتهم لما وصلوا إلى الطلاق .

الشبهة الخامسة[1] :

يترتب على تعدد الزوجات كثرة النسل ، وهذه الكثرة تؤدي في غالب الأحوال إلى الفقر وضعف في التربية ، وهذا بدوره يؤدي إلى التشرد والسقوط في مهاوي الرذيلة ..؟

الرد : إن كثرة النسل خير وقوة ، وقديماً واجه أجدادنا معاركهم المجيدة الظافرة المتلاحقة بكثرة النسل ، ونحن اليوم بأشد الحاجة إليها لأن معاركنا مع أعدائنا لم تنته (والجهاد ماض إلى يوم القيامة) ما دامت مصادر الكيان العدواني قائمة في هذا الوجود تمده بأسباب القوة وتشجعه على العدوان ...

فكيف يُتصور من ذي حكمة أن يَحُدَّ من كثرة النسل أمام هذه المخاطر المحدقة ..؟ ألم تستدع إسرائيل اليهود من أنحاء شتى من العالم وشجعت الهجرات إليها رغبة منها في كثرة العدد وزيادة عدد السكان وإعداد جيش قوي لمواجهة المسلمين والعرب المحيطين بها والذين عددهم في ازدياد ؟ ثم إن كل مناصر لمنع تعدد الزوجات يدعو لخروج المرأة إلى العمل متذرعاً بدعم الاقتصاد والحاجة إلى اليد العاملة وكيف نعطلهن وهنَّ نصف المجتمع .

---

(١) انظر الشبهات الثلاثة (الثالثة والرابعة والخامسة) في كتاب (ماذا عن المرأة) للدكتور العتر .

ويتعرض الاقتصاد القومي للانهيار إذا بقين عاطلات .. فأين هذه الفاقة التي تؤدي إلى التشردِ إذا كانت المرأة ستعمل لا محالة وإخراجِ المرأة إلى العمل لتزيد بها اليد العاملة المنتجة ..!؟

إن الذين يخشون من تزايد النسل أو كثرته ينظرون إلى الأفواه التي تأكل وينسَوْن أو يتناسون الأيدي التي تعمل وتنتج ، فالنسل في حد ذاته ثروة كما يقرر ذلك الاقتصاديون الذين لا يقلدون ولا ينحرفون ، بل إن القوى البشرية هي أغلى مصادر الثروة وهناك أمم لا تعتمد في مصادرها إلا على مهارة سكانها كسويسرا واليابان وبريطانيا[1]. إن الأرض العربية بكر تحتاج إلى أيد عاملة تبذر البذر وتحيي الموات منها .

إن سبب أزمة الغذاء في العالم الثالث اليوم ليس كثرة النسل كما يحلو لبعضهم أن يعزوَه إليها ؛ وإنما سوء التخطيط وسوء الإدارة ، والجشع ، وعدم استعمال التقنيات الحديثة ، وعدم استغلال الموارد

---

(١) إن الكثافة في سويسرا (وهي بلد فقير في موارده الطبيعية) ١٥٦/ كم٢ وفي بريطانيا ٢٢٩ / كم٢ وفي اليابان ٣٦٣/ كم٢ وجميعها بلاد فقيرة في ثرواتها الطبيعية والزراعية إلا أنها استطاعت أن تكون في مستوى عال من الرفاهية ووفرة الغذاء بسبب التنظيم الجيد وحسن الإدارة واستخدام الوسائل العلمية الحديثة والعمل الدؤوب.

انظر كتاب (سياسة ووسائل تحديد النسل في الماضي والحاضر) للدكتور محمد علي البار.

المتاحة استغلالاً جيداً ، وإضاعةُ الأموال في ترسانات الأسلحة وفي الحروب الطاحنة ، وفي الإنفاق على الفنون الداعية إلى الرذيلة ، وفي إلهاء الشباب في ميادين اللهو وغيرها ، وفي بعثرة الأموال في غير محلها .

وتعرف الولايات المتحدة قبل غيرها ويعرف اليهود الذين يسيطرون على كثير من مقدراتها أن العالم الإسلامي غنيّ بموارده الطبيعية التي حباهُ الله بها ، وأن زيادة السكان فيه ستشكل خطراً في المستقبل على هيمنة الرجل الأبيض .

إن العالم اليوم يعاني تخمة في الغذاء ، إذ أن الفائض من الطعام يُرمى به في البحر كل عام ، وتدفع الحكومات في الولايات المتحدة ودول أوربا المبالغ الطائلة للمزارعين كي لا يزرعوا حقولهم ، ولصانعي الأجبان ومنتجي الألبان كي يتوقفوا عن إنتاج ألبانهم ؛ لأن هناك بحيرات من الألبان الفائضة وآلاف الملايين من البيض الزائد عن الحاجة وآلاف الأطنان من اللحوم والقمح التي لم يعد يتحملها السوق .

ولجشع الإنسان واستغلاله فإنه يرفض أن يعطيَ هذا الفائض للفقراء الذين يموتون جوعاً ، ويفضل أن يرميَه في البحر طعمة للأسماك ثم يتحدث بعد ذلك حديثاً طويلاً سخيفاً مملاً عن حقوق الإنسان وعن أهمية تحديد النسل.

فدولة كأمريكا تشكل (٦) % من مجموع سكان العالم تسيطر بشكل أو بآخر على (٥٠) % من موارد الأرض ، وتلقي بملايين من الأطنان من القمح في البحار في سبيل أن يحافظ القمح على سعره العالمي ، وتستعمل التجويع والضغط على الشعوب كوسيلة لارضاخها وإركاعها.



الشبهة السادسة[1] :

ينتقد بعضهم تعدد الزوجات بأنه لا يقيم كبير وزن لمشاعر النساء ؟

الرد : يصدر مثل هذا الانتقاد من أناس ينظرون إلى جانب النساء المتزوجات ويغمضون عيونهم عن أولئك النسوة اللاتي حُرِمْنَ من الأزواج المعيلين ويترتب على هذه النظرة المفاسد الاجتماعية الخطيرة التي تستعصي على حل .

كما أنها لو روعيت القواعد والآداب التي بني عليها تشريع التعدد في الإسلام لما كان لهذا الانتقاد أي مسوغ .

ثم ما أباحه الشرع من أن للزوجة الأولى أن تشترط على زوجها أثناء العقد عدم الزواج عليها فإذا رضي الزوج به كان عليه الوفاء بما التزم على رأي بعض الفقهاء . كما أن الشرع الحنيف فتح أمام هذه الزوجة ـ إذا لم ترض ـ باب الخلع وهو فرقة على عوض راجع إلى الزوج . قال تعالى: ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ ﴾[2] وبذلك تحصل على طلاقها منه.

* * * *

---

(١) انظر هذه الشبهة في كتاب (تعدد الزوجات أم تعدد العشيقات) للشيخ خاشع حقي .

(٢) سورة البقرة الآية: (٢٢٩) .

وبعد قارئي الكريم :

إن مسألة تعدد الزوجات ضرورة اقتضتها ظروف الحياة وهي ليست تشريعاً جديداً انفرد به الإسلام ، وإنما جاء الإسلام فوجده بلا قيود ولا حدود وبصورة غير إنسانية فنظّمه وهذّبه وجعله علاجاً ودواءً لبعض الحالات الاضطرارية التي يعاني منها المجتمع .

وفي الحقيقة إن تشريع التعدد مفخرة من مفاخر الإسلام ، لأنه استطاع أن يحل (مشكلة اجتماعية) هي من أعقد المشاكل التي تعانيها الأمم والمجتمعات اليوم فلا تجد لها حلاً ..

إن المجتمع كالميزان يجب أن تتعادل كفتاه ، فماذا نصنع حين يختل التوازن ويصبح عدد النساء أضعاف عدد الرجال ؟ أنحرم المرأة من نعمة الزوجية و(نعمة الأمومة) ونتركها تسلك طريق الفاحشة والرذيلة ، أم نحل هذه المشكلة بطريقة فاضلة تُصان فيها كرامة المرأة وطهارة الأسرة وسلامة المجتمع ؟

وأقرب الأمثلة شاهداً على ما نقول ما حدث في ألمانيا بعد الحرب العالمية الثانية حيث ازداد عدد النساء زيادة فاحشة على عدد الرجال ، فأصبح مقابل كل شاب ثلاث فتيات وهي حالة اختلال اجتماعي فيكف يواجهها المشرع ؟

لقد حلّ الإسلام مشكلات بتشريعه الإسلامي الرائع ، بينما وقفت المسيحية حائرة مكتوفة الأيدي لا تبدئ ولا تعيد .. إن الرجل الأوروبي لا يبيح له دينه التعدد لكنه يبيح لنفسه مصاحبة المئات من

الفتيات بطريق الرذيلة ، يرى الوالد منهم فتاته مع عشيقها فيُسرّ ويغتبط بل ويمهد لهما جميع السبل المؤدية لراحتهما حتى أصبح ذلك عرفاً سارياً اضطرت معه الدول إلى الاعتراف بمشروعية العلاقات الآثمة بين الجنسين ، ففتحت باب التدهور الخلقي على مصراعيه ووافقت على قبول مبدأ (تعدد الزوجات) ولكن تحت ستار المخادنة وهو زواج حقيقي لكنه غير مسجل بعقد ويستطيع الرجل أن يطردها متى شاء دون أن يتقيد حيالها بأي حق من الحقوق ، والعلاقة بينهما علاقة جسد لا علاقة أسرة وزوجية ، فأعجب من منع (تعدد الزوجات) بالحلال وإباحته بالحرام حتى أنزلوا المرأة من مرتبة الإنسانية إلى مرتبة الحيوانية ، وفي الوقت الذي يتأفف فيه كثير ممن يدّعي الإسلام من تشريع التعدد فإن المصلحين في الغرب ينادون ويستنجدون به للتخلص من معاناتهم .. ولولا أن بعض المسلمين أساؤوا استغلال هذا المبدأ فشوهوا شيئاً من جماله وجلاله ، لظهر في مخبره ومظهره لامعاً يخطَف أبصار وقلوب المخالفين ولكنه ــ برغم ما أصابه من رذاذ ـ خير لنا وللبشرية كلها ألفَ مرة وملايينَ المرات من هذا الحَجْر الذي خلَّف كل هذه المفاسد والمنكرات .

ربِّ إن الهُدى هُداك وآيا　　　تك حقٌّ تهدي بها من تشاء

ولكن مهما نفثوا حقدهم ، وأظهروا كيدهم ولجّوا في كِبْرهم وعنادهم فالإسلام في يسر أحكامه ، ومتانة نظامه ، وصلاحية مبادئه وسموّ تشريعه ، أعظم من أن ينال منه حاقد ، وأسمى من أن يمسّه لئيم متغطرس .

وصدق من قال :

يـا نـاطحَ الجبـلِ العـالي ليُكْلِمَـهُ   أشفق على الرأس لا تُشفق على الجبلِ

وفي **الختام**: أسأل الله تعالى أن يصفيَ أفئدتنا من الشوائب ، وأن يجعل من حبّنا لرسول الله وآل بيتـه وأزواجـه وسـائر أصـحابه الـبررة الكرام ، رأسَ مال ندّخره لنجاتنا يوم يقوم النّاس لربّ العالمين ، وإن قلّـت الأعمـال الصّـالحة في صـفحاتنا وكثـر عليهـا سـواد التقصـير والعصيان . وأعظم بذلك منجيّاً وشفيعاً . والحمد لله رب العالمين .

كان الفراغ منه يوم الثلاثاء الموافق: /٢٧رجب/ ١٤٢٤ هـ

المصادف في: ٢٣ /أيار/ ٢٠٠٣ م

(والحمد لله بدءاً وختاماً)

محمد عطا سعيد رمضان

الفهرس

الموضوع | الصفحة

* * * *

المراجع

١ـ القرآن الكريم.

٢ـ صحيحا البخاري ومسلم.

٣ـ رياض الصالحين ، الإمام النووي

٤ـ صفوة التفاسير ، محمد علي الصابوني

٥ـ مجموع رسائل العلامة المجاهد الشيخ محمد الحامد.

٦ـ كتاب الأحوال الشخصية (الزواج والطلاق).

٧ـ المرأة بين الفقه والقانون ، د . مصطفى السباعي رحمه الله

٨ـ محمد رسول الله ﷺ، محمد رضا

٩ـ الإسلام والغرب وجهاً لوجه ، عند المنعم النمر

١٠ـ تعدد الزوجات في الإسلام ، عبد الله علوان

١١ـ تفسير آيات الأحكام ، محمد علي الصابوني

١٢ـ ماذا عن المرأة ، الدكتور نور الدين عتر

١٣ـ المرأة بين طغيان النظام الغربي ولطائف التشريع الرباني ،

د . محمد سعيد رمضان البوطي

١٤ـ تعدد الزوجات أم تعدد العشيقات ...؟! دراسة علمية مقارنة ،

الشيخ خاشع حقي

١٥ـ تعدد الزوجات لدى الشعوب الإفريقية ، د . محمد محمد زناتي.

١٦ـ مقارنات بين الشريعة الإسلامية والقوانين الوضعية ، د. علي علي منصور.

١٧ـ أحكام المرأة في الفقه الإسلامي ، د ...... أحمد الحجي الكردي .

١٨ـ أحكام الأسرة ، د. أحمد مصطفى الشلبي
١٩ـ تنظيم الأسرة ، للمرحوم الشيخ محمد أبو زهرة
٢٠ـ التفسير الواضح ، د . وهبة الزحيلي
٢١ـ الإسلام في قفص الاتهام ، د . شوقي أبو خليل .
٢٢ـ سياسة ووسائل تحديد النسل ، د . محمد علي البار
٢٣ـ مئة أوائل من النساء ، تأليف : سليمان سليم البوّاب
٢٤ـ عائشة أم المؤمنين ، د . محمد سعيد رمضان البوطي

* * * *